

المفيد
الإسلام ديننا
دُروس في السيرة
الثالث الثانوي
لجنة المناهج
١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ مـ



المحتويات

مقدمة لجنة المناهج

بسم الله الرحمن الرحيم

نظـرًا للحاجة العاجلة إلى مناهج تُلبّـي متطلبات مشاريع التعليم الدينــي الإسلامي لجميع المراحل -ابتدائـي، إعـدادي، ثانوي- وفق خطـة التعليم طوال السنــة وبمنهجية المراحل، وهــي حاجةٌ مُلِحَّةٌ لا تحتمـل التأخـير، ونظـرًا إلى أنَّ طبيعة العمل في إنجـاز كُتُبٍ دراسيَّة تُلبّي هـذه الحاجة بالصورة المطلوبـة، والتدقيق اللازم يأخذُ وقتًا طويلاً، فقد ارتـأت لجنة المناهج أن تقوم بإعداد هذه السلسلة بصـورة مؤقتـة، وبعجالة مـن أمرنا قمنا بجمع مـا توفَّر لنا من كُتُـبٍ تعليميَّةٍ وكرّاســاتٍ من جهاتٍ موثوقـة، وقمنا بترتيبها وتقسيمها واختيار المناسـب منها، والتصرف في النصوص كثيرًا، مع إجراء مراجعة عامة للمحتوى.

فهذه المناهج المؤقتة مستفادة من عدَّةِ مصادر، وهي:

جميع المناهج المطبوعة للمجلس الإسلامي العلمائي في البحرين.

بعض مقرّرات مركز الهدى للدراسات الإسلامية.

بعض كرّاساتِ مشروع تعليم الصلاة والقرآن بقرية الدراز.

بعض مناهج جماعة الهُدى للتعليم في القطيف.

بعض إصدارات مركزِ المعارف للدراسات والبحوث الإسلامية.

تنويه مهم

يرجى من الأساتذة الكرام وإدارات التعليم الديني أن يتفضلوا بموافاتنا بملاحظاتهم واقتراحاتهم؛ لتعديل وتطوير هذه المناهج، وشكرًا.

١

الدرس الأول

الإمام الصادق عليه السلام وبناء الأمّة الصالحة ١

الدرس الأول

الإمام الصادق عليه السلام وبناء الأمّة الصالحة ١

أهداف الدرس:

١. أن يتعرّف الطالب إلى النشاط الفكريّ والعقائديّ للإمام الصادق عليه السلام.

٢. أن يعدّد مميّزات مدرسة الإمام الصادق عليه السلام.

النشاط الفكريّ والعقائديّ للإمام الصادق عليه السلام

إذا راجعنا حوارات واحتجاجات الإمام الصادق عليه السلام في كتب الاحتجاج أو السيرة الخاصّة به، لاحظنا عدّة ظواهر ملفتة للنظر:

١. إنّ أكبر نسبة من الاحتجاجات هي مع رموز الملاحدة والزنادقة في عصره مثل الديصانيّ وابن أبي العوجاء.

٢. يأتي الاحتجاج مع أصحاب الرأي والقياس في الدرجة الثانية من مجموعة الاحتجاجات المأثورة عنه.

٣. تتنوّع أطراف الحوار مع الإمام عليه السلام إلى أنواع المعتقدات بدءاً من الإنكار لوجود الله تعالى وانتهاءً بالسلوكيّات المنحرفة وأصحاب الفهم الخاطئ لمسيرة الشريعة.

ويُمكن تقسيم مجموعة هذه الظواهر الّتي تكشف عن تنوّع الاتجاهات والتيّارات في عصره إلى ما يلي:

أ - التيّارات الّتي تنكر المبدأ والرسالة، ويُعدّ أصحابها خارجين عن دين الإسلام، وتتمثّل في تيّار الزندقة وتيّار الغلوّ وما شاكلها.

ب - التيّارات الّتي تُشكّل انحرافات داخل المسلمين، وهي تيّارات: الاعتزال والتفويض والإرجاء والتصوّف والرأي والقياس.

وتنقسم هذه التيّارات بدورها إلى تيّارات عقائديّة وأخرى فقهيّة.

٤. ونلاحظ أيضاً أنّ الإمام عليه السلام في حواره مع الزنادقة والملحدين يُمثّل العالِم الحليم الهادئ المسيطر على كلّ نواحي المعرفة، ممّا أدّى إلى رجوع بعض الملحدين وإيمانهم بالله على يديه.

بينما نجده، في مواجهته لتيّار الغلوّ، ذلك القائد الهادر الّذي لا يقِرّ له قرار، وهو يكيل أنواع اللعن له ويتمنّى الإبادة التامّة للغلاة.

وقد حفلت كتب السيرة والتاريخ بالحوارات والروايات الّتي نقلت لنا تصدّي الإمام الصادق عليه السلام ومواجهته لهذه التيّارات كافّة.

بناء جامعة أهل البيت عليهم السلام

واصل الإمام الصادق عليه السلام تطويره للمدرسة الّتي أسّسها آباؤه الطاهرون عليهم السلام من قبله وانتقل بها إلى آفاق أرحب، فاستقطبت الجماهير من مختلف البلاد الإسلاميّة، لأنّها استطاعت أن تُلبّي رغباتهم، وحاولت ملء الفراغ الّذي كانت تُعانيه الأمّة آنذاك.

مميّزات جامعة الإمام الصادق عليه السلام

١. تتميّز مدرسة الإمام الصادق عليه السلام عن غيرها في أنّها لم تنغلق في المعرفة على خصوص العناصر الموالية فحسب، وإنّما انفتحت لتضمّ طلّاب المعرفة والعلم من مختلف الاتّجاهات، فهذا أبو حنيفة الّذي كان يخالف الإمام عليه السلام في منهجه، روى وحدّث عنه عليه السلام ، واتّصل به في المدينة مدّة من الزمن، وقد اشتهر قوله "لولا السنتان لهلك النعمان".

٢. لم يقتصر علم الإمام عليه السلام على حقل واحد - كالفقه أو الكلام مثلاً ليكون سبباً لمخاطبة وجذب فئة محدودة من الناس - وإنّما تناولت جامعته العلميّة مجموعة العلوم الدينيّة وغير الدينيّة، وتربّى فيها كبار العلماء في مختلف فروع المعرفة الإسلاميّة والبشريّة. والعلوم الّتي تناولتها جامعته عليه السلام بالبحث والتدريس هي علم الفلك والطبّ، والحيوان، والنبات، والكيمياء والفيزياء، فضلاً عن الفقه والأصول والكلام والفلسفة وعلم النفس والأخلاق.

٣. تألّقت جامعة الإمام عليه السلام بمنهجها العلميّ السليم وعمقها الفكريّ واتجاهها العقائديّ التربويّ الإصلاحيّ، فقد خرّجت هذه الجامعة شخصيّات كبرى ونماذج مُثلى بالعطاء السخيّ للأمّة، بحيث أصبح الانتماء إلى مدرسة الإمام عليه السلام وجامعته يعدّ من المفاخر، وقد جاوز عدد طلّابها أربعة آلاف طالب علم. واتّسعت فيما بعد لتُنشأ عدّة فروع لها في الكوفة والبصرة وقمّ ومصر.

٤. لم يجعل الإمام عليه السلام من الجامعة والجهد المبذول فيها نشاطاً منفصلاً عن حركته وأنشطته الأخرى، بل كانت جزءاً لا ينفصل عن برنامجه التغييريّ بحيث ساهمت في خلق مناخ يمهّد لبناء الفرد الصالح ومن ثمّ المجتمع الصالح.

٥. حقّقت مدرسة الإمام عليه السلام إنجازاً في خصوص تدوين الحديث والحفاظ على مضمونه، بعد أن كان قد تعرّض في وقت سابق للضياع والتحريف والتوظيف السياسيّ، بسبب المنع من تدوينه.

عنه عليه السلام: «إنّ عندنا ما لا نحتاج معه إلى الناس وإنّ الناس ليحتاجون إلينا، وإنّ عندنا كتاباً بإملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخطّ عليّ عليه السلام، صحيفة فيها كلّ حلال وحرام».

وجاء عنه عليه السلام أنّه قال: «علمنا غابر، ومزبور، ونكتٌ في القلوب ونقرٌ في الأسماع. وإنّ عندنا الجفر الأحمر، والجفر الأبيض، ومصحف فاطمة. وإنّ عندنا الجامعة فيها جميع ما يحتاج الناس إليه...»[1].

وكان عليه السلام يأمر طلّابه ويؤكّد لهم ضرورة التدوين والكتابة كما نجد ذلك في قوله عليه السلام: «احتفظوا بكتبكم فإنّكم سوف تحتاجون إليها». وكان عليه السلام يشير إلى نشاط زرارة في مجال الحديث ويقول: «رحم الله زرارة، لولا زرارة لاندرست أحاديث أبي»[2].

٦. اعتنى الإمام عليه السلام بالتخصّص العلميّ في تلك المرحلة لأنّ للاختصاص دوراً كبيراً في تنمية الفكر الإسلاميّ وتطويره، وبالتخصّص تتميّز العطاءات، ويكون الإبداع وعمق الإنتاج، لذا وجّه الإمام عليه السلام التخصّص العلميّ، وتصدّى للإشراف على كلّ التخصّصات.

ففي الفلسفة وعلم الكلام ومباحث الإمامة تخصّص كلٌّ من: هشام بن الحكم، وهشام بن سالم، ومؤمن الطاق، وغيرهم، وفي الفقه وأصوله وتفسير القرآن الكريم تخصَّص كلٌّ من: زرارة بن أعين، ومحمّد بن مسلم، وجميل بن درّاج، وبريد بن معاوية، وإسحاق بن عمّار، وأبو بصير، وأبان بن تغلب والفضيل بن يسار، وأبو حنيفة ومالك بن أنس، وسفيان بن عُيينة، وسفيان الثوريّ.

كما تخصَّص في الكيمياء جابر بن حيّان الكوفيّ، وفي حكمة الوجود المفضّل بن عمر الّذي أملى عليه الإمام الصادق عليه السلام كتابه المشهور المعروف ب(توحيد المفضّل).

---

(١) المناقب، م.س: ٣٩٦، وبحار الأنوار، م.س: ٤٧/٢٦.

(٢) وسائل الشيعة، م.س: ٨/٥٧ ـ ٥٩.

٧. خطّط الإمام عليه السلام في مدرسته لتنشيط حركة الاجتهاد وتخريج الفقهاء والمجتهدين، والاجتهاد المشروع هو: طريق الاستنباط الصحيح للحكم الشرعيّ كما رسمه أهل البيت عليهم السلام. وقد سأل رجلٌ أبا عبد الله الصادق عليه السلام عن مسألة فأجابه فيها، فقال الرجل: إن كان كذا وكذا ما كان القول فيها؟ فقال عليه السلام: «مهما أجبتك فيه بشيء فهو عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لسنا نقول برأينا من شيء»[٣].

وعليه فالاجتهاد في مذهب أهل البيت عليهم السلام هو اجتهاد في دائرة النصّ الشرعيّ. ومن هنا رسم الإمام عليه السلام منهج الاجتهاد في فهم النصّ وحارب اجتهاد الرأي المتمثّل في القياس والاستحسان كما حاربه القرآن وسائر الأئمّة عليهم السلام.

الإمام الصادق عليه السلام وبناء الأمّة الصالحة:

تعرّفنا في سيرة الإمام الباقر عليه السلام إلى أنّ أهمّ ما ركّز عليه أئمّة أهل البيت عليهم السلام لبناء المجتمع الصالح بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو بناء الجماعة الصالحة الّتي تستطيع أن تقوم بمهمّة التغيير الحقيقيّ في أوساط المجتمع الصالح.

ويعتبر عصر الإمامين الباقر والصادق ؤ هو عصر التأهيل النظريّ والتوسّع الاجتماعيّ وتكامل البناء وتحديد المعالم، وتشخيص الهويّة لهذه الجماعة المتميّزة بالفكر والعقيدة والقيم والسلوك.

وقد اعتنى الإمام الصادق عليه السلام بعملية بناء الأمّة من خلال التركيز على إيجاد الكوادر والعناصر الصالحة من شيعته.

وفي قراءتنا لأهمّ الخطوات الّتي قام بها من أجل عمليّة البناء هذه نرى أنّه عليه السلام قد اتّبع ما يلي:

أوّلاً: تحديد الهويّة لشيعته

أ - الاسم: أطلق الإمام الصادق عليه السلام على شيعته عدّة أسماء لتشخيص هويّة شيعته وجماعته وفرزها وتمييزها عن غيرها، ومنها:

١. شيعة عليّ.
٢. شيعة فاطمة.
٣. شيعة آل محمّد.
٤. شيعة ولد فاطمة.

---

(٣) بحار الأنوار، م.س: ١٧٢/٢.

وأقرّ عليه السلام على جماعته اسم "الرافضة" بعد أن سمّاهم أتباع السلطان بذلك، فحينما شكا إليه بعض أصحابه هذه التسمية قال له: «وأنا من الرافضة» قالها ثلاثاً[1].

ب - الصفات: أطلق أهل البيت عليهم السلام عدّة صفات قرآنيّة على شيعتهم مثل: الصالحون، وأولو الألباب، وأولياء الله، وأصحاب اليمين، وخير البريّة.

وجاء عنه عليه السلام: بعد ذكر قوله تعالى: «فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ..» « نحن الصدّيقون والشهداء، وأنتم الصالحون، أنتم والله شيعتنا»[2].

وفي حديث آخر عنه عليه السلام: «.. فنحن الّذين نعلم، وأعداؤنا الّذين لا يعلمون، وشيعتنا أولو الألباب»[3].

جـ - الانتماء إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام: فقد أكّد الإمام الصادق عليه السلام انتماء شيعته إليهم وإلى رسول الله صلى الله عليه وآله. وهذا الانتماء الفكريّ والروحيّ والاتّباع العمليّ هو الّذي يُعطي الرفعة والمكانة السامية في الدنيا والآخرة.

فقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال لعمر بن يزيد وهو من شيعته وأصحابه الثقاة: «يا بن يزيد أنت والله منّا أهل البيت عليهم السلام. قال: جُعلت فداك من آل محمد؟

قال: إي والله من أنفسهم يا عمر، أما تقرأ كتاب الله تعالى: ﴿**إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَاللّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ**﴾[4]» [5].

د - منزلتهم في الدنيا والآخرة: قال الإمام الصادق عليه السلام: «والله ما بعدنا غيركم وإنّكم معنا في السنام الأعلى، فتنافسوا في الدرجات» [6].

---

(١) المحاسن، أحمد بن محمّد بن خالد البرقي:١٥٧، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٧٠هـ.

(٢) بحار الأنوار، م.س: ٢٧/١٢٤.

(٣) م.ن: ٢٧/١٢٥.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٦٨.

(٥) بحار الأنوار، م.س: ٦٥/٢٠.

(٦) م.ن: ٦٥/٢٧.

خلاصة الدّرس

- الحوارات والاحتجاجات الّتي دارت بين الإمام الصادق عليه السلام مع أصحاب الرأي والقياس، والزنادقة والملحدين تكشف لنا عمق النشاط الفكريّ والعقائديّ الّذي مارسه الإمام الصادق عليه السلام.

- استطاع الإمام عليه السلام أن يُشيّد معالم أعظم جامعة ثقافيّة إسلاميّة والّتي تميّزت بانفتاحها على الثقافات الأخرى، وسعة علومها ومعارفها، ومنهجها الإصلاحيّ، والّتي تميّزت أيضاً بأسلوب التخصّص العلميّ.

- ركّز الإمام عليه السلام على بناء المجتمع الصالح من خلال إيجاد العناصر الصالحة حيث حدّد لشيعته هويّتهم العقائديّة، وصفاتهم، وانتماءهم الفكريّ لأهل البيت عليهم السلام ومنزلتهم.

٢

الدرس الثاني

الإمام الصادق عليه السلام وبناء الأمّة الصالحة ٢

الدرس الثاني

الإمام الصادق عليه السلام وبناء الأمّة الصالحة ٢

أهداف الدرس:

١- أن يتبيّن نشاط الإمام الصادق عليه السلام السياسيّ.

... تتمة الحديث حول:

أهمّ الخطوات الّتي قام بها من أجل عمليّة بناء الجماعة الصالحة:

ثانياً: المرجعيّة الدينيّة والفكريّة والسياسيّة

خطّط الإمام الصادق عليه السلام وسائر الأئمّة عليهم السلام من أجل إيجاد وتوفير نظام المرجعيّة الدينيّة لأتباعهم، وذلك بتنصيب المجتهد الجامع لشرائط الإفتاء والقضاء والحكم مرجعاً فكريّاً وسياسيّاً، يحكم فيهم على أساس شريعة الله الخالدة وقيمها الربّانيّة، مع اعتباره امتداداً لإمامتهم المشروعة. وبدأوا بالعمل على طرحه وتطبيقه في حياتهم وحضورهم ليتركّز وتستقر دعائمه وتتّضح معالمه. فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال في باب اختيار القاضي بين المتخاصمين أنّهما: «ينظران من كان منكم ممّن روى حديثنا ونظر في حلالنا وحرامنا وعرف أحكامنا فليرضوا به حكماً»[1].

وبدأ الطرح النظريّ والتطبيق العمليّ لهذا الأصل المميّز لنظام الجماعة الصالحة في عصر الصادقَين عليهما السلام. واستمرّ التأهيل النظريّ والتطبيق العمليّ حتّى نهاية الغيبة الصغرى حيث أصبح لأتباع أهل البيت نظام متكامل ووجود مستقلّ ضمن المجتمع الإسلاميّ بالرغم من غياب القيادة المعصومة المتمثّلة في الإمام المهديّ المنتظر عليه السلام.

ثالثاً: أمن الكيان وحفظه

أولى الإمام عليه السلام اهتماماً خاصّاً للنظام الأمنيّ حفاظاً على سلامة الأفراد والجماعات المحيطة به، لأنّ أيّ خلل في الوضع الأمنيّ يؤدّي إلى سجن أو قتل أو تهجير من له أثرٌ إيجابيٌّ في الأمّة. والاهتمام

(١) وسائل الشيعة، م.س: ١٨/ ١٩.

بالنظـام الأمنـيّ يضمن للأمّـة بقاء القيادة وهي الإمـام المعصوم عليه السلام الّـذي يرشدهم ويوجّههم ويربّيهم، ويعلّمهم أحكام الدِّين وسبل الشريعة.

وللنظـام الأمنيّ معالم ومظاهـر يمكن تحديدها على ضوء مـا ورد في توجيهات الإمام عليه السلام وذلك مـن قبيـل تشريع التقيّة والعمل بها، وكتمان الأسرار كما في قولـه عليه السلام: «اكتموا أسرارنا ولا تحملوا الناس على أعناقنا»[٢] ، وأيضاً من خلال دعوته إلى التوازن في العلاقة مع الحكّام، ففي الوقت الّذي كان عليه السلام يأمر بعدم الركون إلى الحاكم الجائر أو إعانته، كان يُراعي المصلحة الإسلاميّة العليا في عـدّة موارد فيجوّز بيع السلاح أو حمله إلى أتباع السلطان في زمن الخوف على الدولة الإسلاميّة من الأعداء الخارجيّين.

النشاط السياسيّ للإمام الصادق عليه السلام

استهدف العمل السياسيّ عند الإمام الصادق عليه السلام لونين من الانحراف:

١. انحراف الحكّام.

٢. انحراف الفكر السياسيّ الاجتماعيّ الناشئ من فقدان الفكر والوعي السياسيّ السليم.

ولهذا ركّز الإمام عليه السلام على ما يلي:

أ- التثقيـف علـى عدم شرعيّـة الحكومات الجائرة، والّتـي ليس لها رصيد شرعـيّ. ورتّب على ذلك تحريم الرجوع إليها لحلّ النزاعات والخصومات، كما ورد عنه قوله عليه السلام: «إيّاكم أن يُحاكم بعضكم بعضـاً إلى أهل الجور، ولكن انظروا إلى رجل منكـم يعلم شيئاً من قضايانا فاجعلوه بينكم، فإنّي قد جعلته قاضياً فتحاكموا إليه»[٣]، وقال عليه السلام: «أيّما مؤمن قدّم مؤمناً في خصومة إلى قاضٍ أو سلطان جائر فقضى عليه بغير حكم الله فقد شركه في الإثم»[٤].

إنّ تفتيـت الأسس الّتي يعتمـد عليها الظالمون في حكمهم يُعتبر عملاً سياسيّاً مهمّاً لزعزعة عرشهم، والقضاء على الجور.

---

(٢) بحار الأنوار، م.س: ٧١/٢٢٥.

(٣) وسائل الشيعة، م.س: ١٨/٤.

(٤) م.ن: ١٨/١٤،٢- سورة البقرة، الآية: ١٣٨.

ب- مارس الإمام عليه السلام التثقيف على الصيغة السياسيّة السليمة من خلال تبيان موقع الولاية المغصوب، واستخدام الخطاب القرآنيّ في هذا المجال الّذي حاولت فيه المدارس الفكريّة الأخرى تجميد النصّ بحدود الظاهر، وكمثال على ذلك تفسيره عليه السلام لقوله تعالى: «صِبْغَةَ اللّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدونَ»[1] بأنّ الصبغة هي الإسلام، وفي قولٍ آخر عنه عليه السلام: الصبغة هي صبغ المؤمنين بالولاية، يعني الولاية للإمام الحقّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام. وعلّق العلّامة الطباطبائي على ذلك بقوله: وهو من باطن الآية [2].

جـ- قام عليه السلام بدعم بعض التحركات، ليحافظ على الروح الثوريّة ضدّ الباطل، وليبقى الطغاة على وجل من عاقبة طغيانهم، من دون أن يتدخّل بشكل مباشر في هذا الحقل، كما لوحظ ذلك في مواقفه من ثورتي زيد ويحيى.

الاستغلال العبّاسيّ لقيادة الإمام الصادق عليه السلام

تألّق الإمام الصادق عليه السلام ودخل صيته كلّ بيت وأصبح مرجعاً روحيّاً تهوى إليه القلوب من كلّ مكان، وتلوذ به لحلّ مشكلاتها الفكريّة والعقائديّة والسياسيّة. ومن جانب آخر اتسع نفوذ أهل البيت عليهم السلام وامتدّ خطّهم وكثرت أنصاره حتّى أصبح له وجود في مختلف البلاد الإسلاميّة.

وممّن كان يغتنم الفرص ليحضر عند الإمام ويستمع منه، أبو حنيفة مؤسّس المذهب الحنفيّ، وكان يقول بحقّ الإمام عليه السلام: "ما رأيت أفقه من جعفر بن محمّد عليه السلام" [3].

كان مالك بن أنس أيضاً ممّن يحضر عند الإمام عليه السلام ليهتدي بهديه، فكان يقول: "ما رأت عين ولا سمعت أذن ولا خطر على قلب بشر أفضل من جعفر بن محمّد الصادق علماً وعبادة وورعاً" [4].

(١) البقرة: ١٣٨

(٢) الميزان في تفسير القرآن، محمّد حسين الطباطبائي: ١/٣١٥، منشورات جماعة المدرّسين، قم، عن طبعة مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٩٧٣م.

(٣) سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي: ٦/٢٥٨، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٩، ١٤١٣هـ ١٩٩٣م.

(٤) الشيعة في الميزان، محمّد جواد مغنيّة: ١٠٧.

وقد شهد المنصور بحقّه - وهو ألدّ أعدائه - فقال: "إنّ جعفر بن محمّد كان ممّن قال الله فيه: "ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا"[٥]، وكان ممّن اصطفى الله وكان من السابقين بالخيرات»[٦].

ولم يكن الإمام مرجعاً للعلماء والفقهاء والمحدّثين وقائداً للنهضة الفكريّة والعلميّة في زمانه فحسب، بل كان مرجعاً للساحة والثوّار من أمثال زيد بن عليّ الثائر الشهيد الّذي كان يرجع إليه في قراراته، وكان يقول بحقّ الإمام عليه السلام: "في كلّ زمان رجل منّا أهل البيت يحتجّ الله به على خلقه، وحجّة زماننا ابن أخي جعفر لا يضلّ من تبعه ولا يهتدي من خالفه"[٧].

وكان الإمام الصادق عليه السلام يدعم الثورة بالمال والدعاء والتوجيه.

أمّا العلويّون من آل الحسن كعبد الله بن الحسن، وعمر الأشرف ابن الإمام زين العابدين عليه السلام، فقد كانوا يرجعون إليه ويستشيرونه في مسائلهم.

من هنا كانت القناعة السائدة آنذاك في أوساط الأمّة أنّ البديل للحكم الأمويّ هو الخطّ الّذي كان يتزعّمه الإمام عليه السلام. وهذه الحقيقة لم يكن تغافلها ممكناً بحال، فإنّ قادة الحركة العبّاسيّة ورموزها المدبّرين لها وقادتها العسكريّين لم يتجاوزوا الإمام عليه السلام حينما قرّروا الثورة على الأمويّين بالرغم من عدم إيمانهم بضرورة تسليم الحكم إلى شخص الإمام عليه السلام، ولهذا استغلّوا هذا الامتداد الجماهيريّ للإمام الصادق عليه السلام ولأهل البيت عموماً ورفعوا شعارهم الزائف لاستقطاب الجماهير إلى ثورتهم خداعاً ونفاقاً، لأنّ الطريق الوحيد لهم للاستيلاء على الحكم كان هو شعار "الرضا من آل محمّد"، وهذا ما سيتّضح لنا في الدرس القادم إن شاء الله تعالى.

خلاصة الدّرس

١. اهتمّ الإمام عليه السلام بأمن الكيان الإيماني حفاظاً على سلامة الأفراد والجماعات المحيطة به.
٢. كان للإمام عليه السلام نشاط سياسيّ لمنع الانحراف السياسيّ المتمثّل في انحراف الحكّام، وانحراف الفكر السياسيّ الاجتماعيّ الناشئ من فقدان الفكر والوعي السياسيّ السليم.
٣. استغلّ العبّاسيّون نفوذ الإمام عليه السلام وتأثيره على الجماهير لأجل الترويج لثورتهم الخادعة.

---

(٥) سورة فاطر، الآية: ٣٢.

(٦) تاريخ اليعقوبي، م.س:٢/٣٨٣.

(٧) المناقب، م.س: ٢/١٤٧.

٣

الدرس الثالث

الإمام الصادق عليه السلام والدولة العباسية ١

الدرس الثالث

الإمام الصادق عليه السلام، والدولة العباسية ١

أهداف الدرس:

١. أن يتعرّف الطالب إلى كيفيّة نشوء الحكم العبّاسيّ.

٢. أن يتبيّن الأساليب التي اعتمدها العبّاسيّون في الوصول للحكم.

٣. أن يتبيّن موقف الإمام عليه السلام من الحركة العبّاسيّة.

الدولة العبّاسيّة: النشأة والأساليب

كان هشام بن عبد الملك يحذر وجود أبي هاشم - وهو من رجال بني هاشم البارزين - لوجود لياقات علميّة وسياسيّة عنده كانت تؤهّله للقيادة، فحاول هشام اغتياله. ولمّا أحسّ أبو هاشم بالمكيدة ضدّه احترز من ذلك فأوصى إلى محمّد بن عليّ بن عبد الله بن العبّاس بإدارة أتباعه في مقاومة الأمويّين سنة ٩٩هـ.

وكانت هذه الوصيّة هي بذرة الطمع الّتي حرّكت محمّد بن عليّ بن عبد الله بن العباس ما جعلته يشعر بأنّه القائد والخليفة مستقبلاً. وكانت الفرصة سانحة في ذلك الوقت بالتبليغ لشخصه، لذا شرع في إرسال الدعاة إلى خراسان سرّاً لهذا الغرض، واستمرّ بدعوته إلى أن مات سنة ١٢٥هـ وترك من بعده أولاده وهم: إبراهيم الإمام، والسفّاح، والمنصور. وقد كان "إبراهيم الإمام" أكثر دهاءً وحنكة من أخويه فخطّط لقيام الدولة العبّاسيّة.

نشط إبراهيم بالدعوة وأخذ يتحدّث بأهميّة الثورة وإنقاذ المنكوبين، وشارك البسطاء من الناس آلامهم وأخذ يعطف على المظلومين ويلعن الظالمين. وانتشر دعاة إبراهيم في بلاد خراسان وكان لهم كبير الأثر هناك. وقد تعرّضوا للقتل في سبيل دعوتهم ومُثّل ببعضهم وحبس بعضهم الآخر. وكان في طليعة الدعاة الأكثر نشاطاً وقوّة ودهاءً أبو مسلم الخراسانيّ.[١]

---

(١) الأخبار الطوال، أحمد بن داود الدينوري: ٣٦٠، دار إحياء الكتاب العربي، ط ١، ١٩٦٠م.

وتضمّـن المنهج السياسيّ العبّاسيّ لكسب الأُمّة عدّة أساليـب كانت منسجمة مع الواقع ومقبولة عند عامّة الناس، ولذا لقيت الدعوة استجابة سريعة وانضمّ المحرومون والمضطهدون إليها.

ومن هذه الأساليب:

الأوّل: الدعوة لأهل البيت عليهم السلام

روّج العبّاسيّـون أفـكار الدعوة بقوّة وحرّكـوا العواطف تجاهها وحاولوا إقنـاع الناس بأنّ الهدف من دعوتهـم هو الانتصـار لأهل البيت عليهم السلام الّذين تعرّضوا للظلم والاضطهـاد، وأُريقت دماؤهم في سبيل الحقّ.

وركّز العبّاسيّون بين صفوف دعاتهم على أنّ الهدف المركزيّ من دعوتهم هو رجوع الخلافة المغصوبة إلى أهلها، ولهذا تفاعل الناس مع شعار "الرضا لآل محمّد" ووجدوا بهذا الشعار ضالّتهم.

وكان يعتقد الدعاة أنّ هذه الدعوة تنبّئ بظهور عهد جديد يضمن لهم حقوقهم كما عرفوه من عدالة الإمام عليّ عليه السلام.

وقد حقّق هذا الشعار نجاحاً باهراً خصوصاً في البلاد الّتي كانت قد لاقت البؤس والحرمان، وكانت تترقّب ظهور الحقّ على أيدي أهل بيت النبوّة عليهم السلام.

الثاني: إخفاء اسم الخليفة

حيـث ركّز العبّاسيّـون على اسم الّذي يدعون إليه، وتكتّموا على أمـره، وأقنعوا الناس بأنّ الخليفة لا يمكن إظهار اسمه إلّا بعد زوال سلطان الأمويّين حيث يُعلن اسمُه الّذي يعرفه القادة والنقباء(٢).

الثالث: لبس السواد

كان العبّاسيـون يلبسون السواد، وكانوا يرمزون به إلى محاربة الظالمين، وإظهار الحزن والتألّم لأهل البيت عليهم السلام والشهداء الّذين لحقوا بهم. وهكذا قامت الدعوة العبّاسيّة باسمهم للانتقام من الأمويّين.

وتركيـزاً لهـذا الشعار الّذي كان له وقـع بالغ في النفوس أرسـل إبراهيم الإمام لـواءً يُدعى الظِلّ أو السحـاب على رمـح طويل. وكان ثلاثة عشر ذراعـاً. وكتب إلى أبي مسلم: إنّي قـد بعثت إليك براية

---

(٢) راجع الإمام الصادق والمذاهب الأربعة.

النصر[١]. وقد تأوّلوا الظلّ أو السحاب: بأنّ السحاب يُطبق الأرض، وكما أنّ الأرض لا تخلو من الظلّ كذلك لا تخلو من خليفة عبّاسيّ[٢]، وأنّ ذلك يمثّل لواء رسول الله ﷺ لأنّهم ذكروا أنّ لواءه في حروبه وغزواته كان أسود!

اجتماع الأبواء[٣]

كان الهدف من عقد هذا الاجتماع الصوريّ معرفة نوايا العلويّين من خلال اقتراح تعيين خليفة من جهة، وتهيئة الأجواء الودّيّة وإشاعة روح المحبّة والوئام بينهم وبين العبّاسيّين، وتطميناً لخواطرهم من جهة أُخرى أو على أقلّ تقدير جعلهم محايدين في هذا الصراع ليتمّ للعبّاسيّين ما يهدفون إليه، وبذلك يقدرون على حشد ما استطاعوا من قوّة لصالحهم، فكان محلّ الاجتماع هو منطقة الأبواء.

وقد دُعي إلى الاجتماع كبار العلويّين والعبّاسيّين، فحضر كلٌّ من إبراهيم الإمام، والسفّاح، والمنصور، وصالح بن عليّ، وعبد الله بن الحسن، وابناه: محمّد ذو النفس الزكيّة، وإبراهيم، وغيرهم.
وقام صالح بن عليّ خطيباً فقال: "قد علمتم أنّكم الّذين تمدّ الناس أعينهم إليهم، وقد جمعكم الله في هذا الموضع، فاعقدوا بيعةً لرجل منكم تعطونه إيّاها من أنفسكم، وتواثقوا على ذلك حتّى يفتح الله وهو خير الفاتحين".
ثمّ قام عبد الله بن الحسن، فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: "قد علمتم أنّ ابني هذا هو المهديّ فهلّموا لنبايعه". وقال أبو جعفر المنصور: "لأيّ شيء تخدعون أنفسكم؟ ووالله لقد علمتم ما في الناس أحد أطول أعناقاً، ولا أسرع إجابة منهم إلى هذا الفتى - يريد محمّد بن عبد الله - قالوا: قد - والله - صدقت إنّ هذا لهو الّذي نعلم". فبايعوا جميعاً محمّداً، ومسح على يده كلّ من إبراهيم الإمام، والسفّاح، والمنصور، وكلّ من حضر الاجتماع[٤]. وبعد أن أنهى مؤتمرهم أعماله بتعيين محمّد بن عبد الله بن الحسن خليفة للمسلمين، أرسلوا إلى الإمام الصادق عليه السلام فجاء فقال: "لماذا اجتمعتم؟" قالوا: نبايع محمّد بن عبد الله فهو المهديّ، فقال الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «لا تفعلوا

(١) تاريخ الطبري، م.س: ٨٢/٩.

(٢) الكامل لابن الأثير، م.س: ١٧٠/٥ والطبري، م. س:٨٥/٩.

(٣) منطقة قريبة من المدينة المنوّرة.

(٤) مقاتل الطالبيّين، م. س: ٢٥٦.

فـإنّ الأمـر لم يأت بعد، وهو ليس بالمهديّ»، فقال عبـد الله، ردّاً على الإمام عليه السلام: يحملك على هذا الحسد لابني! فأجابه الإمام عليه السلام بخُلُق الأنبياء: «والله لا يحملني ذلك، ولكن هذا وإخوته وأبناؤهم دونكم» وضرب بيده على ظهر أبي العباس، ثمّ قال لعبد الله: «ما هي إليك ولا إلى ابنيك، ولكنّها لبني العبّاس، وإنّ ابنيـك لمقتولان»، ثمّ نهض عليه السلام، وقال: «إنّ صاحـب الرداء الأصفر - يقصد بذلك أبا جعفر - يقتله». قال الراوي: والله ما خرجت من الدنيا حتّى رأيته قتله. وانفضّ القوم، فقال أبو جعفر المنصور للإمام جعفر عليه السلام: تتّم الخلافة لي؟ فقال: «نعم أقوله حقّاً»(٥).

تحرُّك العبّاسيّين بعد اجتماع الأبواء

بعـد أن حقّق اجتماع الأبواء غرضه وأنِسَ الحاضرون بقراره الكاذب، نشط إبراهيم الإمام بالاتّجاه الآخر، ليواصل عمله بلا رجوع لأعضاء المؤتمر ولا للخليفة المرشَّح فأصدر عدّة قَرارات كعادته سرّاً.

منها: أنّه كتب إلى شيعته في الكوفة وخراسان: إنّي قد أمرت أبا مسلم بأمري فاسمعوا له وأطيعوا. قد أمّرتـه على خراسان وما غلب عليه. وكان ذلك سنة (١٢٨هـ). وكان أبو مسلم لا يتجاوز عمره التسع عشـرة سنـة، وكان يقظاً فاتكاً غادراً لا يعـرف الرحمة ولا الرأفة، وكان ماهـراً في حبك الدسائس. ودهشـ الجميع لتعيين أبي مسلم في هذا المنصب الخطير نظراً لحداثة سنّه وقلّة تجاربه، وأبى جمع من الدعاة طاعته والانصياع لأوامره إلّا أنّ إبراهيم الإمام ألزمهم السمع والطاعة (٦). وقد أقدم أبو مسلم فيما بعد على إعدام جميع من عارض اختياره لقيادة هذه المنطقة.

أمّـا ما هو الخطّ الّذي سوف يتحـرّك بموجبه أبو مسلم لإعلان ثورته هناك، فقد جاء هذا الخطّ في وصيّـة إبراهيـم الإمام له عندما قال: "يـا عبد الرحمن إنّك منّا أهل البيـت فاحفظ وصيّتي. انظر هـذا الحيّ من اليمـن فأكرمهم، وحلّ بين ظهرانيهم، فإنّ الله لا يتمّ هـذا الأمر إلّا بهم. وانظر هذا الحـيّ من ربيعة فاتّهمهـم في أمرهم، وانظر هذا الحيّ من مُضَرَ فإنّهـم العدوّ القريب الدار، فاقتل مـن شككـت في أمره ومن وقع في نفسك منـه شيء، وإن شئت أن لا تدع بخراسـان من يتكلّم العربيّة

(٥) الخرائـج والجرائح، قطب الدِّيـن الراوندي:٢/٧٦٥، المطبعة العلميّة، قم، ط ١، ١٤٠٩هـ. وبحار الأنوار، م.س: ٤٧/١٢٠، ومقاتل الطالبيّين، م. س: ٢٥٦.

(٦) الكامل في التاريخ، م.س: ٤/١٩٥.

فافعل، فأيّما غلام بلغ خمسة أشبار فاقتله"[1]. وهذه الوصيّة تلخّص السياسة العامّة التي اعتمدها العبّاسيّون مع المسلمين.

وقد أثّر أبو مسلم الخراسانيّ في الناس لتعاطفه معهم إذ كان يتمتّع بصفات تؤهّله لهذا الموقع، فهو: خافض الصوت، فصيح بالعربيّة والفارسيّة، حلو المنطق، راويةٌ للشعر، لم يُر ضاحكاً ولا مازحاً إلّا في وقته، ولا يكاد يُقطّب في شيء من أحواله، تأتيه الفتوحات العظام فلا يظهر عليه أثر السرور، وتنزل بـه الحوادث الفادحة فلا يُرى مكتئباً. وعندما سئل إبراهيم الإمام عن أهليّة أبي مسلم قال: إنّي قد جرّبت هذا الأصفهانيّ، وعرفت ظاهره وباطنه فوجدته حَجَر الأرض [2].
وفجّـر الثورة هناك. وكان يبذر الشقاق بين جنود الأمويّين ليحصل الانقسام بينهم. وقد استفاد من ذلـك ونجح في مهمّته. وقد انجفل النـاس من هرات والطالقان ومرو وبلخ، وتوافروا جميعاً مسوّدين الثياب [3].

وباشر أبو مسلم إبادة الأبرياء فقتل ـ فيما ينقل المؤرّخون ـ ستمائة ألف عربيّ بالسيف صبراً عدا من قتل في الحرب. وتقدّمت جيوش أبي مسلم بعد أن هزمت ولاة الأمويّين في خراسان نحو العراق ـ وهي كالمـوج ـ تخفـق عليها الرايات السود فاحتلّت العراق. وبهذا أُعلن الحكـم العبّاسيّ على يد أبي مسلم الخراسانيّ في الكوفة سنة ١٣٢هـ.

موقف الإمام الصادق عليه السلام من الحركة العبّاسيّة

التزم الإمام الصادق عليه السلام إزاء المستجدّات السياسيّة موقف الحياد، لكنّه من جانب آخر كان يتحرّك ويعمـل لتوسعة دائـرة الأفراد الصالحين في المجتمـع. ومن هذا المنطلق أصـدر جملة من التوصيات لشيعتـه كان من شأنها أن تجنّبهـم الدخول في المعادلات السياسيّة المتغيّرة الّتـي تؤدّي بنتيجتها إلى استنزاف الوجود الشيعيّ في نظر الإمام عليه السلام، محذّراً من أساليب العنف والمواجهة لهذه المرحلة.

---

(١) م.ن: ٤/٢٩٥.

(٢) وفيّات الأعيان، لابن خلكان: ٣/٢٤٥، دار صادر، بيروت.

(٣) الأخبار الطوال، م. س: ٣٦٠.

فجـاء عـن الإمام الصادق عليه السلام: «اتّقـوا الله وعليكم بالطاعة لأئمّتكم، قولوا مـا يقولون، واصمتوا عمّـا صمتـوا، فإنّكم في سلطان من قال الله تعالى فيـه: «وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَـزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ»١٢ (٤) (يعني بذلك ولد العبّاس)، فاتّقوا الله فإنّكم في هدنة، صلّوا في عشائرهم، واشهدوا جنائزهم، وأدّوا الأمانة إليهم»(٥).

ويمكـن بلـورة سيرة الإمـام الصادق عليه السلام ومنهجـه السياسيّ مع الأطراف الطامعـة في الحكم، أو العبّاسيّـين. الّذين كانوا يرون في الإمام الصادق عليه السلام وخطّه خطراً حقيقيّاً على سلطانهم ولو على المدى البعيد. من خلال المواقف التالية:

١. موقـف الإمـام عليه السلام مـن أبـي سـلمة الخـلّال: كان أبو سلمة أحـد الدعاة العبّاسيّـين النشطين في الكوفة، ولعب دوراً مميّزاً في نجاح الدعوة العبّاسيّة. ولمّا أدرك أبو سلمة بعد موت إبراهيم الإمام أنّ الأمور تسير على خلاف ما كان يطمح إليه كتب إلى الإمام الصادق عليه السلام بأنّه يريد البيعة له، ولكنّ الإمام عليه السلام رفض العرض وقال: «ما لي ولأبي سلمة وهو شيعة لغيري»(٦)١٤.

وأكّد عليه السلام رفضه القاطع عندما قام بحرق الرسالة جواباً لأبي سلمة.

٢. موقف الإمام عليه السلام من أبي مسـلم الخراسـانيّ: وهو الّذي قاد الانقلاب على الأمويّين في خراسان وتمّ تأسيـس الدولة العبّاسيّـة على يديه، كتب إلى الإمام عليه السلام يبايعـه، فأجابه عليه السلام: «ما أنت من رجالي، ولا الزمان زماني» (٧).

ولم يحدّثنـا التاريـخ عن أيّة علاقة بينه وبين الإمام عليه السلام، لا عقائديّة، ولا سياسيّة، سوى لقاء واحدٍ لم يتمّ فيه التعارف بينهما أو التفاهم، وكان أبو مسلم قد سفك دماء الآلاف من الأبرياء.

٣. موقـف الإمـام عليه السلام مـن العلويّـين: الّذين خدعهم العبّاسيّون في اجتمـاع الأبواء، وبايعوا في حينه محمّـد بن عبد الله المحض. وقـد كان للإمام عليه السلام موقفه الواضح في ذلـك - سبق وأشرنا إليه -،

(٤) سورة إبراهيم، الآية: ٤٦.

(٥) الكافي، م.س: ٨/ ٢١٠.

(٦) مروج الذهب، م.س: ٣/ ١٨٤.

(٧) الملل والنحل، أبو الفتح، محمّد بن عبد الكريم الشهرستاني: ١/ ٢٤١، دار المعرفة، بيروت، ط ٢.

وقـد تكرّر هذا الموقف لمّا جاء عبـد الله بن الحسن إلى الإمام الصادق عليه السلام مسروراً يبشّره بعرض قدّمه له أبو سلمة بعد رفضه من قبل الإمام عليه السلام، فأجابه الإمام عليه السلام قائلاً: «يا أبا محمّد (وهي كنية عبد الله المحض)، ومتى كان أهل خراسان شيعة لك؟ أنت بعثت أبا مسلم إلى خراسان؟! وأنت أمرتهم بلبس السواد؟!..» فنازعه عبد الله بن محمّد بأنّ ولده مهديّ هذه الأمّة، فقال الإمام عليه السلام: «ما هو مهديّ هذه الأمّة، ولئن شهر سيفه ليقتلنّ»، فقال عبد الله: كان هذا الكلام منك لشيء، فقال الإمام الصادق عليه السلام: «قد علم الله أنّي أوجب النصيحة على نفسي لكلّ مسلم، فكيف أدّخرها عنك فلا تمنّ نفسك الأباطيل، فإنّ هذه الدولة ستتمّ لهؤلاء وقد جاءني مثل الكتاب الّذي جاءك»[1].

ولو أنّنا تأمّلنا قليلاً في هذه الكلمات التي ذكرها الإمام عليه السلام لشعرنا بمقدار الألم الذي كان يعتصر قلبه عليه السلام ممّا آلت إليه حال هذه الأمّة، بل حال أقربائه من العلويّين الذين أعمت الرياسة أبصارهم عن رؤية الحقّ ومعرفة أهله.

خلاصة الدّرس

- في العقود الأخيرة من العهد الأمويّ أخذت الأمّة تزداد قناعة بضرورة التخلّص من الحكم الأمويّ الفاسـد. وكان خـطّ أهل البيت عليهم السلام قد أخذ بقلوب الناس وعقولهـم. ومن هنا تحرّك العبّاسيون مستغلّـين هذا التوجّه لأهل البيـت عليهم السلام رافعين شعار الدعـوة إلى (الرضا من آل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم)، واكتسحوا الساحة بهذا الشعار مستعملين عدّة أساليب تبليغيّة كان يستتر خلفها مخطّطو الثورة ضـدّ الحكم الأمويّ. كما استطاعوا أن يقوموا بتصفيـة العناصر الّتي تطلب الحكم من العلويين وأتباعهم من خلال ما عرفوه في اجتماع الأبواء.
- كان موقف الإمام الصادق عليه السلام سلبياً وصريحاً وكاشفاً عن عدم طمعه في الحكم، وعدم توجّهه إلى الخلافة، ومخبراً بوصول الحكم إلى العبّاسيّين.
- لم يتدخّل الإمام الصادق عليه السلام في شؤون الحكم العبّاسيّ لا من قريب ولا من بعيد، ولم يستجب لأيّ واحد من العروض الّتي عرضت عليه قبل انتصار العبّاسيّين وبعده.

(١) مروج الذهب، م.س: ٣/ ١٨٤.

٤

الدرس الرابع

الإمام الصادق عليه السلام، والدولة العبّاسيّة ٢

الدرس الرابع

الإمام الصادق عليه السلام، والدولة العبّاسيّة ٢

أهداف الدرس:

١. أن يتبيّن الطالب تحدّيات السلطة لمرجعيّة الإمام عليه السلام.

٢. أن يستذكر إجراءات الإمام عليه السلام لضمان المسيرة.

٣. أن يتعرّف إلى موقف الإمام عليه السلام من بعض الاعتقادات الخاطئة.

تحدّيات السلطة لمرجعيّة الإمام الصادق (عليه السلام) الدينيّة

اتّجه الناس إلى الإمام الصادق عليه السلام والتفّوا حوله، لا سيّما أثناء وجوده المبارك في "الحيرة"، المدينة القريبة من الكوفة، فاجتمعوا عنده لينهلوا من علومه ويستفيدوا من توصياته وتوجيهاته، حتّى قال محمّد بن معروف الهلاليّ: مضيت إلى الحيرة إلى جعفر بن محمّد فما كان لي من حيلة من كثرة الناس فلمّا كان اليوم الرابع رآني، فأدناني.

وهذا الحشد الجماهيريّ الكبير الّذي يؤمن بأهليّة الإمام عليه السلام وأعلميّته، والتفافه المستمرّ حول الإمام عليه السلام، قد دفع الحكومة العبّاسيّة إلى أن تحدّ من هذه الظاهرة، لكنّ الإمام عليه السلام انطلاقاً من محافظته على مسيرة الأمّة ودفاعاً عن الإسلام، نجده قد مارس مع السفّاح (الخليفة العبّاسيّ) أسلوباً مرناً.

فعن حذيفة بن منصور، قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام بالحيرة، فأتاه رسول أبي العبّاس السفّاح الخليفة، يدعوه، فدعا بطمر (ثوب) أحد وجهيه أسود والآخر أبيض، فلبسه، ثمّ قال أبو عبد الله عليه السلام: «أما إنّي ألبسه، وأنا أعلم أنّه لباس أهل النار»[1].

واستمرّت إجراءات العبّاسيّين للحدّ من ظاهرة الالتفاف حول الإمام عليه السلام والاستفادة من علومه. فقد روى هارون بن خارجة أنّه كان رجل من أصحابنا طلّق امرأته ثلاثاً فسأل أصحابنا، فقالوا: ليس بشيء، فقالت امرأته: لا أرضى حتّى تسأل أبا عبد الله عليه السلام، وكان عليه السلام في الحيرة إذ ذاك،

---

(١) الكافي، م.س: ٦/٤٤٩.

أيّـام أبي العبّاس السفّاح. قال: فذهبت إلى الحيرة ولم أقدر على مكالمته، إذ منع الخليفةُ الناسَ من الدخول على أبي عبد الله، وأنا أنظر كيف ألتمس لقاءه، فإذا سواديّ[٢]٢ عليه جبّة صوف يبيع خياراً، فقلت له: بكم خيارك هذا كلّه؟ قال: بدرهم. فأعطيته درهماً، وقلت له: أعطني جبّتك هذه، فأخذتها ولبستها وناديت: مَنْ يشتري خياراً؟ ودنوت منه، فإذا غلام من ناحية ينادي: يا صاحب الخيار. فقال عليه السلام لي، لمّا دنوت منه: ما أجود ما احتلت، أيّ شيء حاجتك؟

قلت: إنّي ابتُليت: فطلّقت أهلي ثلاثاً في دفعة، فسألت أصحابنا فقالوا: ليس بشيء، وإنّ المرأة قالت: لا أرضى حتّى تسأل أبا عبد الله، فقال عليه السلام: «ارجع إلى أهلك فليس عليك شيء»[٣].

وهكذا انطلق العبّاسيّون من هذه النقطة لمواجهة الإمام الصادق عليه السلام والعمل على تصفيته وتجميد نشاطه لأنّهم كانوا يرون فيه البديل القويّ عنهم لاستلام الحكم على المدى البعيد، بالرغم من عدم ممارسة أيّ نشاط سياسيّ ظاهر له، وانشغالـه بالفقه وعلوم الشريعة والتصدّي للتحدّيات الفكريّة الحضاريّة آنذاك.

لكنّ هذا النشاط بدوره ينتهي إلى المرجعيّة الفكريّة والعلميّة وهي مصدر خطر للسياسة لأنّها ـ ترشّح الفرد المرجع إلى مركز الحكم فيكون قويّاً بفكره وبأنصاره، وهو تهديد حقيقيّ للحكم غير المشروع.

الإمام الصادق عليه السلام والمنصور العبّاسيّ

استـولى أبو جعفر المنصور علـى الحكم بعد وفاة أخيه السفّاح سنة ١٣٦هـ. وعُرِف المنصور بأنّه كان خدّاعاً لا يتردّد في سفك الدماء، وكان متمادياً في بطشه مستهتراً في فتكه.[٤]وبمجرّد أن استلم زمام الحكم بادر إلى قتل أبي مسلم الخراسانيّ الّذي يبغضه، على الرغم من كونه القائد الأوّل للانقلاب العبّاسـيّ. وكان المنصور قـد أعدّ له مكيدةً وأغراه بالمجيء إلى بغداد بعـد أن جرّده من كلّ مناصبه العسكريّة.

ولـمّـا دخـل أبو مسلم الخراسانيّ على المنصور قابله بقساوة بالغة، وأخذ يعدّد عليه أعماله وأبو مسلم يعتـذر عـن ذلك. وهنـا صفّق المنصـور عالياً، فدخـل الحرّاس وبأيديهـم السيوف فقـال أبو مسلم

(٢) سواديّ: نسبة إلى العراق الّذي سمّي بأرض السواد أو إلى السواديّة وهي قرية بالكوفة.

(٣) بحار الأنوار، م.س: ١٧١/٤٧.

(٤) الكامل في التاريخ، م.س: ٣٥٥/٤.

للمنصور متوسّلاً: استبقني لعدوّك، فصاح له: "وأيّ عدوٍّ أعدى لي منك؟" . وبمثل هذا الأسلوب قد غدر بعمّه عبد الله بن عليّ، حيث أرسل إليه بعد أن كان قد أعطاه الأمان، وقتله بعد ذلك[(١)].

وبالرغـم من كلّ تحفّظات الإمام الصادق عليه السلام تجـاه العبّاسيّين وعدم الدخول في أيّ شأنٍ سياسيّ يختصّ بهـم أو يمتّ إليهم بصلة، لم يتركه المنصور العبّاسيّ حـرّاً في نشاطه، بل بدأ يخطّط للتآمر على الإمام عليه السلام.

وقد مرّ مخطّط المنصور ضدّ الإمام الصادق عليه السلام ونهضته العلميّة بشكل عامّ بثلاث مراحل:

المرحلة الأولى:

المرونـة والاستفادة من جهد الإمام عليه السلام لاحتوائـه ضمن سياسة الخلافة العبّاسيّة، فقد كتب إليه: لمَ لا تغشانـا كسائـر الناس؟! فأجابه الإمام عليه السلام: «ليس لنا مـن الدنيا ما نخافك عليه، ولا عندك مـن أمـر الآخرة ما نرجوك له، ولا أنت في نعمة فنهنئك بها، ولا تراها نقمة فنعزّيك بها». فكتب إليه المنصور: تصحبنا لتنصحنا.

فأجابه الإمام عليه السلام: «من أراد الدنيا لا ينصحك، ومن أراد الآخرة لا يصحبك».

قال المنصور: والله لقد ميّز عندي منازل الناس، من يريد الدنيا ممّن يريد الآخرة، وإنّه ممّن يريد الآخرة لا الدنيا[(٢)].

المرحلة الثانية:

مرحلـة المراقبة لحركة الإمام عليه السلام ورصد نشاطاتـه للحصول على آخر المعلومات عنه ليستطيع أن يأخـذ منهـا دليلاً للنيل من الإمام عليه السلام، والتضييق على حركته الّتـي كان يرى فيها المنصور خطراً حقيقيّاً على سلطانه.

وقد اتّخذ لذلك عدّة أساليب منها:

أسلوب الدسّ في صفوف العلويّين وإغرائهم وجمع المعلومات عنهم،

وأسلـوب التضعيف والنيل غير المباشر من مكانة الإمام عليه السلام، فقد حاول المنصور أن يسلّط الضوء

(١) تاريخ الطبري، م.س: ٦/٢٦٦.

(٢) م.ن: ٦/٢٦٦.

علــى بعض الشخصيّات ليجعل منها بدائل علميّــة تغطّي على الإمام عليه السلام، وتؤيّد سياسته، وتساهم في تضعيف القدسيّة والانجذاب الجماهيريّ نحوه عليه السلام.

ومــن ذلك: أنّه طلــب إلى أبي حنيفة أن يُهيّئ لــه عدّة مسائل عويصة وشديــدة، وأحضره مع الإمام عليه السلام إلى مجلســه، وطلــب مــن أبي حنيفة (الّــذي هيّأ أربعــين مسألة) أن يُلقــي على الإمام عليه السلام مسائلــه. قال أبو حنيفة: فجعلت أُلقي عليه فيُجيبني، فيقول: "أنتم تقولون كذا، وأهل المدينة يقولون كذا، ونحن نقول كذا" فربّما تابعنا، وربّما تابعهم، وربّما خالفنا جميعاً.

حتّى أتيت على الأربعين مسألة، فما أضلّ منها شيئاً، ثمّ قال أبو حنيفة: أليس إنّ أعلم الناس أعلمهم باختلاف الناس؟!(٣).

ومن أساليب المنصور أيضاً التحذير المباشر للإمام عليه السلام لأنّه لم يطمئنّ لسياسته عليه السلام.

الإمام الصادق عليه السلام وثورة صاحب النفس الزكيّة

بعــد اختلاس العبّاسيّــين للحكم تألّم محمّد بن عبــد الله ذو النفس الزكيّة، وأخــذ يدعو الناس إلى نفســه، فاستجاب له الناس وبايعوه، وبعد ذلك أعلن ثورته في المدينة، وانضمّ إليه أهالي اليمن ومكّة وقام بهم خطيباً ووضّح مظالم العبّاسيّين.

ولمّا علم المنصور بالثورة وجّه جيشاً بأربعة آلاف فارس بقيادة عيسى بن موسى لحرب محمّد بن عبد الله المحض الذي أُصيب على إثر ذلك بجراح أدّت إلى استشهاده وتفرّق عسكره.

وحينمــا سُئــل الإمام الصادق عليه السلام عن موقفه من محمّد بن عبــد الله ودعوته ـ قبل أن يُعلن محمّد ثورتــه ـ أجــاب عليه السلام: «إنّ عندي كتابين فيهما اسم كلّ نبيّ وكلّ ملك يملك، لا والله ما محمّد بن عبد الله في أحدهما»(٤).

المرحلة الثالثة:

مرحلة الفتك بالإمام عليه السلام واغتياله كما سيأتي إجراءات الإمام الصادق عليه السلام لضمان المسيرة.

شدّد المنصور العبّاسيّ من مراقبته للإمام الصادق عليه السلام، وحاول مرّات عديدة اغتياله.

وفي الدرس القادم سوف يتم التعرض إن شاء الله إلى إجراءات الإمام لضمان المسيرة بعد استشهاده.

(٣) سير أعلام النبلاء، م.س: ٩/٥٤٣.

(٤) بحار الأنوار، م.س: ٢٦/٢١٥.

خلاصة الدرس

- عاصر الإمام الصادق عليه السلام في أواخر حياته المنصور العبّاسيّ المعروف بالخداع وسفك الدماء واستولى على الحكم سنة ١٣٦هـ. وبالغدر تخلّص من أبي مسلم الخراسانيّ وعمّه عبد الله بن عليّ.
- لم يمارس الإمام عليه السلام أي نشاط مثير ضد العبّاسيّين، بل كانت مواقفه تجاه الخروج عليهم مصحوبة بالتحذير، ولكنّ هذا لم يمنع المنصور من التعبير عن مكنون حقده على الإمام ضمن ثلاث مراحل: مرحلة المرونة، مرحلة المراقبة، ومرحلة الفتك بالإمام عليه السلام.

واتّخذ في المرحلة الثانية عدّة أساليب للوصول إلى هدفه هي:

١- أسلوب الدسّ في صفوف العلويّين وإغرائهم لجمع المعلومات عنهم.

٢- أسلوب التضعيف غير المباشر للإمام عليه السلام وإيجاد الفرقة بين تلامذته وأصحابه.

٣- أسلوب التحذير والتهديد المباشر للإمام عليه السلام.

٥

الدرس الخامس

الإمام الصادق عليه السلام، والدولة العبّاسيّة ٣

الدرس الخامس

الإمام الصادق عليه السلام، والدولة العبّاسيّة ٣

أهداف الدرس:

١. أن يتبيّن الطالب تحدّيات السلطة لمرجعيّة الإمام عليه السلام.
٢. أن يستذكر إجراءات الإمام عليه السلام لضمان المسيرة.
٣. أن يتعرّف إلى موقف الإمام عليه السلام من بعض الاعتقادات الخاطئة.

إجراءات الإمام لضمان المسيرة بعد استشهاده

وحينما علم الإمام عليه السلام بنوايا المنصور وتصميمه على قتله، اتّخذ مجموعة إجراءات وقام بعدّة أنشطة استهدفت تهيئة الخطّ الشيعيّ لمواصلة الطريق من بعده، وبالتالي ضمان المسيرة واستمراريّتها، ويمكن إيجاز الكلام عن ذلك بما يلي:

النشاط الأوّل:

حاول الإمام عليه السلام أن يجعل الصفّ الشيعيّ صفّاً متماسكاً في عمله ونشاطه، وركّز على الإمام الكاظم عليه السلام لقيادة الأمّة من بعده فيما لو تعرّض للقتل، وقطع الطريق أمام المنتفعين والّذين يريدون انتهاز الفرص، لأنّ إسماعيل ابن الإمام الصادق عليه السلام المتوفّى في هذه الفترة، قد قال جماعةٌ بإمامته وإنّه لم يمت، ولكنّه غاب، وعُرف أتباعه بالإسماعيليّة.

وقد التفت الإمام عليه السلام إلى هذه العقبة، وحاول أن يرفعها بأساليب شتّى.

ومن النشاطات الّتي بذلها الإمام لمعالجة هذه المشكلة: التأكيد لصحابته على تحقّق موت ابنه إسماعيل، ورفع الشكوك المحتملة حول موته في كلّ فرصة كانت تسنح لذلك.

فقد روى زرارة بن أعين أنّ الإمام الصادق عليه السلام دعا بمجموعة من أصحابه... حتّى صاروا ثلاثين رجلاً، فقال عليه السلام: «يا داوود اكشف عن وجه إسماعيل»، فكشف عن وجهه، فقال: «تأمّله يا داوود، فانظر أحيّ هو أم ميت؟ فقال: بل هو ميت، فجعل يعرضه على رجل رجل حتّى أتى على آخرهم فقال:

اللّهم اشهد. ثمّ أمر بغسله وتجهيزه»[١].

النشاط الثاني:

رغم الحرب الباردة بين المنصور والإمام الصادق عليه السلام إلّا أنّ الإمام عليه السلام مارس بعض الأدوار مع السلطـة لغرض الحفاظ على الأمّة وسلامة مسيرتهـا، وإبقاء روح الرفض قائمة في نفوسها، مخافة أن تسبّـب ممارسـات المنصور حالة من الانكسار للشيعة بسبـب الاستجابة لمخطّطاته الخبيثة، ومن ذلك: أنّه ورد أنّ أبا جعفر المنصور قال للإمام عليه السلام: إنّي قد عزمت على أن أضرب المدينة، ولا أدع فيها نافخ ضرمة.

فقال عليه السلام: «يا أمير المؤمنين لا أجد بُدّاً من النصاحة لك فاقبلها إن شئت أوْ لا... إنّه قد مضى لك ثلاثـة أسلاف: أيّـوب عليه السلام ابتُلي فصبر، وسليمان عليه السلام أُعطيَ فشكـر، ويوسف عليه السلام قَدَرَ فغفر، فاقتد بأيّهم شئت». قال: قد عفوت[٢].

النشاط الثالث:

ركّـز الإمـام الصادق عليه السلام على مبادئ إسلاميّـة وممارسات إصلاحيّة في نفوس شيعته مثل مبدأ التقيّـة، وكتمان السرّ، والعلاقة الفكريّـة والعاطفية بالثورة الحسينيّة؛ لتقي هذه المبادئ والممارسات الوجود الشيعيّ من الضربات والمخطّطات الخارجيّة.

وأغلـب الظنّ أنّ هكذا نشاط للإمام الصـادق عليه السلام كان قد كثُر في أيّام المنصور لكثرة الجواسيس والعيـون الّذين يرصدون حركة الإمام عليه السلام، ممّا دفع به عليه السلام إلى أن يلجأ إلى عقد جلسات سرّية في بيتـه لغرضـ مواصلة دوره الإلهيّ مـع الأمّة عن طريق حفظ النخبة الصالحـة وتوجيهها وضمان تكامل مسيرتها.

موقف الإمام الصادق عليه السلام من الغلاة

تشتمـل عقائد الغلاة علـى آراء ينسبون بموجبها بعض صفات الله إلى بعضـ البشر، ويعترفون لهم بنـوع مـن الألوهيّة، فيجعلون منهم آلهة حيناً أو أصحاب صفات إلهيّة حيناً آخر. وبما أنّ الأئمّة كانوا

(١) م.ن: ٤٧/٢٥٣.

(٢) م.ن: ٤٧/٢٤٥.

يطرحـون أنفسهـم بصفتهـم منصوبين مـن قِبَل الله فإنّ ذلـك كان يسهّل الأرضيـة للصق مختلف الصفات الإلهيّة بهم، ويجعلهم غرضاً للحبّ والولاء المتطرّف ويُهيّىء الظروف لمثل تلك الآراء المغالية.

إنّ أهمّ جوانب حياة الإمام الصادق عليه السلام الّتي لها دور كبير في حياة الشيعة هي معارضته وتصدّيه العلنـيّ للغلاة ومسألة الغلـوّ، والّتي نتج عنها تحجيم الغلاة في شتّى المجـالات، وجعلهم خارج دائرة الشيعة.

إنّ كتـب الفـرق والمذاهب الّتـي كُتبت فيما بعد على يد علمـاء أهل السنّة وبسبـب عدم تمييزها بين الشيعـة الواقعيّـين والغلاة، حرّفت أفكار قُرّائها عن حقيقة الحـال وضلّلتهم بحيث إنّه لم يعد هناك تمييز بين الشيعة والغلاة. وعلى هذه الخُطى مشى بعض المستشرقين. بينما تشير الحقائق التاريخيّة إلى التصـدّي الكبـير من الإمامين الباقـر والصادق ؤ للغلاة، ورفض وجودهم بـين أوساط الشيعة.

وفي حديث للإمام الصادق عليه السلام قال للمُفضّل بن مَزيد مشيراً في كلامه إلى أصحاب أبي الخطّاب والغُـلاة: «يا مُفضّل، لا تقاعدوهـم، ولا تؤاكلوهم، ولا تشاربوهم، ولا تصافحوهم، ولا تؤاثروهم»[(١)].

وفي روايـة عنـه عليه السلام يقول: «احذروا على شبابكـم الغلاة، لا يفسدوهم، فإنّ الغـلاة شرّ خلق الله، يصغّرون عظمة الله، ويدّعون الربوبيّة لعباده»[(٢)].

وكذلـك دأب الإمـام عليه السلام على رفض واستنكار عقائد الغلاة مستهدفـاً بذلك إبعادهم عن المجتمع الشيعيّ، فحدّد عليه السلام كتاب الله باعتباره الميزان الّذي يميّز الحقّ عن الباطل.

ويقـول الإمـام عليه السلام في الغلاة: «إن أمكنني الله من هؤلاء فلم أسفـك دماءهم، سفك الله دم وَلدي على يديَّ»[(٣)].

وكانت مهدويّة الإمام الباقر عليه السلام من جملة ما تخرّصت الغلاة في عهد الإمام الصادق عليه السلام، وقد استنكرها الإمام بشدّة. وطُرحت قضيّة نبوّة الأئمّة المعصومين من قبل الغلاة أيضاً، وردّ عليها الأئمّة عليهم السلام.

والموقـف الأهـمّ الّذي استطـاع الإمام عليه السلام من خلاله تعيـين المسار الّذي ينبغـي أن يسلكه الشيعة لإنقاذهـم مـن التلوّث والانحراف هو تكفيره لقادة الغلاة وأتباعهـم، وبذلك فصل بين خطّهم وخطّ شيعته.

---

(١) اختيار معرفة الرجال، الشيخ أبو جعفر الطوسي: ٢/٥٨٦/ح٥٢٥، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم، ١٤٠٤هـ.

(٢) الأمالي، الطوسي، م.س: ٦٥٠.

(٣) شرح إحقاق الحقّ، السيّد شهاب الدين المرعشيّ النجفيّ: ١٢/٢٣٦.

حصار الإمام الصادق عليه السلام وشهادته

مـرّ معنا فيمـا سبق أنَّ المنصور العبّاسيّ قد تدرّج في مواجهتـه للإمام عليه السلام في ثلاث مراحل كانت آخرهـا مرحلة التصفية الجسديّة، حيـث صعّد المنصور العبّاسيّ من تضييقـه على الإمام الصادق عليه السلام ومهّد لقتله، وقد أرسل عدّة مرّات يستدعي الإمام عليه السلام وفي كلّها كان يريد قتله.

وروى الفضـل بـن الربيع عـن أبيه أنّه قـال: دعاني المنصور، ثمّ قـال: إنّ جعفر بـن محمّد يُلحد في سلطاني، قتلني الله إن لم أقتله.

وقـد صـرّح بذلك مراراً وتكراراً مفصحاً عن نواياه الخبيثة لقتـل الإمام الصادق عليه السلام، حتّى أقدم على الفتك به عليه السلام واغتياله سنة ١٤٨هـ بدسّ السمّ إليه على يد عامله في المدينة.

ولمّـا علم الإمـام عليه السلام أنّ أجله قد حان أوصى بجميع وصاياه إلى ولـده الإمام الكاظم عليه السلام، وكان منهـا تجهيزه وتكفينـه والصلاة عليه، كما أنّه كان قـد نصّبه إماماً من بعده لكنّـه عهد بأمره أمام النـاس إلى خمسة أشخاص، حفاظاً على حيـاة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، وكان المنصور يراقب الحدث.

يقول أبو أيوب الخوزيّ: بعث إليّ أبو جعفر المنصور في جوف الليل، ولمّا دخلت عليه قال لي: اكتب إلى والي المدينـة، فكتبتُ صدر الكتاب ثمّ قال: اكتـب: إن كان قد أوصى إلى رجل بعينه، فقدِّمه واضرب عنقه.

قال: فرجع الجواب إليه أنّه قد أوصى إلى خمسة أحدُهم أبو جعفر المنصور(٤).

وهكذا انتهت حياة هذا الإمام العظيم الّذي نُسب إليه المذهب الجعفريّ.

وقد دلّ على عظمته عظمة التراث الّذي خلّفه لنا حيث يشكّل أغنى تراث يتضمّن تفاصيل مذهب أهل البيـت عليهم السلام، وبجهوده أخذ الكيان الشيعيّ يتكامل ويتـلألأ في الأُفق يوماً بعد يوم وقرناً بعد قرن، حتّى يتوّج الله ذلك بقيام المهديّ من آل محمّد صلى الله عليه وآله.

خلاصة الدرس

- وقـف الإمـام عليه السلام من الغـلاة موقفاً متشـدّداً وصل إلى حـدّ تكفيرهم، وتحذيـر أصحابه من معاشرتهم.
- صعّـد المنصـور العبّاسيّ من حصاره وتضييقه على الإمام الصـادق عليه السلام إلى أن اغتاله بالسّمّ سنة ١٤٨هـ.

(٤) بحار الأنوار، م.س: ٣/٤٧.

٦

الدرس السادس

مشكلة الإمام الصادق عليه السلام والسلطة الحاكمة بعده ١

الدرس السادس

مشكلة الإمام الصادق عليه السلام والسلطة الحاكمة بعده

١

أهداف الدرس:

١. أن يتعرّف الطالب إلى بعض الفرق الضالّة عن خطّ الإمامة.

٢. أن يتبيّن مواجهة الإمام الكاظم عليه السلام للعقائد المنحرفة.

دعوى الإمامة بعد الإمام الصادق عليه السلام

إنّ الاختلافات الّتي ظهرت بين الشيعة كانت تنشأ عادة نتيجة تعيين الإمام اللّاحق، فالظروف السياسيّة كانت تحتّم أحياناً - وخاصّة بسبب الخوف من السلطات العبّاسيّة - بقاء شخص الإمام مجهولاً بالنسبة للكثير من شيعته، إذ إنّ ظهور إمامة أحد الأئمّة علناً على الملأ قد يعرّض الشيعة وإمامهم لضغط شديد من قبل الخلفاء.

وقد أدّى الكبت الّذي فرضه المنصور على العلويّين - ولا سيّما سيّدهم الإمام الصادق عليه السلام الّذي أحرز مقاماً سامياً في المجتمع - إلى حصول حالة من الاضطراب بين بعض الشيعة حول الزعامة الآتية. وقد ضاعف من قلق الشيعة قيام بعض أبناء الإمام الصادق عليه السلام - الّذين ادّعوا الإمامة زوراً - بالدعوة إلى أنفسهم واستقطاب بعض الشيعة حولهم. وقد مرّ معنا كيف أنّ الإمام الصادق عليه السلام عمد إلى التمويه على وصيّه فجعل المنصور العبّاسيّ - إضافة إلى ولديه الإمام الكاظم عليه السلام وعبد الله - وصيّاً له أيضاً.

فقد اتّبع الإمام الصادق عليه السلام سياسة حكيمة في تعيين وصيّه الإمام الكاظم عليه السلام وهذا ما أدّى إلى انفراط عقد الدعاوى الباطلة لإمامة بعض الأشخاص من قبل الفِرق الضالّة. وفي الإجراء الّذي قام به الإمام الصادق عليه السلام ووصيّته لخمسة أشخاص من بعده يظهر لنا مدى مراقبة المنصور لحركة أهل البيت عليهم السلام، ومدى دقّة الإمام الصادق عليه السلام وإدراكه لسياسة المنصور والحزب العبّاسيّ

الحاكـم، ومستوى التربية العلميّة والإيمانيّة من قبل الإمام الصادق عليه السلام لصحابته وخاصّة شيعته بحيث استطاع أن يرشدهم إلى الحقيقة المستترة وراء هذه الوصيّة.

فرق الشيعة بعد الإمام الصادق عليه السلام:

ولبيـان واقع الحال وانقسام الأمّـة بعد الإمام الصادق عليه السلام، وارتباكهـا في تشخيص الإمام، ننقل مـا ذكره النوبختيّ في فرق الشيعة حول انقسـام الشيعة[1] إلى ستّ فرق بعد الإمام الصادق عليه السلام، وكانت كما يلي:

١.**الناووسيّة:** وهم القائلون بمهدويّة الإمام الصادق عليه السلام (وبالتالي عدم وجود إمام بعده).

٢.**الإسماعيليّة الخالصة:** الّذين يصرّون على أنّ إسماعيل لا زال حيّاً.

٣.**المباركيّة:** وهم الّذين يعتقدون بإمامة محمّد بن إسماعيل.

٤.**السمطيّة:** وهم المعتقدون بإمامة محمّد بن جعفر المعروف بالديباجة.

٥.**الفطحيّة:** وهم الّذين كانوا يعتقدون بإمامة عبد الله الأفطح ابن الإمام الصادق عليه السلام.

٦.**وبقيت فرقة أخرى:** اعتقدت بإمامة موسى بن جعفر عليه السلام.

عبد الله الأفطح ودعوى الإمامة

من المشاكل الّتي كانت تهدف لتمزيق الطائفة الشيعيّة وإثارة البلبلة والتخريب في صفوفها: التشكيك في مسألـة القيادة بعد الإمام الصادق عليه السلام، فقد ادّعى الإمامة (عبد الله الأفطح) وهو الأخ الأكبر للإمـام الكاظـم عليه السلام بعد إسماعيل. وهذا بطبيعة الحال يُضيف معانـاة أخرى للإمام، لأنّ أجهزة المنصور العدائيّة كانت تَعدّ عليه الأنفاس، وتشكّ في أيّ حركةٍ تصدر عنه في مجال تصدّيه للإمامة[2].

وفي مواجهـة هـذا الإدّعاء استخدم الإمـام عليه السلام أسلوب المعجزة الّتي تميّزه عـن عبد الله باعتباره إماماً مفترض الطاعة وذلك أمام جمع من خواصّ الشيعة مثبتاً بهذا الأسلوب لإمامته.

ويعلّـل الكشّيّ سبب ذهاب الشيعة إلى القول بإمامـة عبد الله الأفطح ابن الإمام الصادق عليه السلام بما روي عـن الأئمّـة عليهم السلام: "الإمامة في الأكبر من ولد الإمـام إذا مضى". ثمّ إنّ منهم من رجع عن القول

---

(١) فرق الشيعة، أبو محمّد الحسن بن موسى النوبختي، تعليق محمّد صادق بحر العلوم: ٧٧ - ٧٨. منشورات مكتبة الفقيه، قم، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٩م.

(٢) الكافي، م.س: ١/ ٢٨٥.

بإمامته لمّا امتحنه بمسائل من الحلال والحرام ولم يكن عنده فيها جواب(١).

الفرق الضالّة والخطّ البديل لأهل البيت عليهم السلام

من الأساليب الّتي استخدمتها السلطات العبّاسيّة للتعتيم على مرجعيّة أهل البيت عليهم السلام، وتضعيف دورهم العلميّ والفكريّ سياسة خلق البدائل العلميّة وتقويتها من خلال دعم السلطة له، لتغطّي الفراغ الحاصل من عزل أهل البيت عليهم السلام وتؤيّد السياسة الحاكمة، فتوحي للأمّة بأنّه الخليفة على الخطّ الإسلاميّ وعلى نهج النبوّة. فالمنصور وجد (مالك بن أنس) ممّن تجاوب مع سياسته، وهذا ما دفع بالمنصور إلى أن يفرض كتاب مالك (الموطّأ) على الناس بالسيف ثمّ جعل لمالك السلطة في الحجاز على الولاة وجميع موظّفي الدولة، فازدحم الناس على بابه وهابته الولاة والحكّام.

وحينما وفد الشافعيّ إلى مالك وتشفّع بالوالي لكي يسهّل له أمر الدخول عليه، قال له الوالي: لئن أمشي من المدينة إلى مكّة حافياً راجلاً أهون عليّ من أن أمشي إلى باب مالك. ولست أرى الذلّ حتّى أقف على بابه(٢).

ثمّ إنّ الفرق الضّالة تنوّعت وانتشرت واستفحلت في عصر الإمام الكاظم عليه السلام، فبعضها كان يتحدّى الإسلام كمبدأ الزنادقة وبعضها كان ينتهي إلى مسخ العقيدة الإسلاميّة كالغلوّ والإرجاء والجبر. وقد وجدت هذه الفرق جوّاً مساعداً للانتشار. وكلّها كانت تخدم الجهاز الحاكم بشكل أو آخر. ومن هنا كان الحكّام يسمحون لها بالتحرّك والنشاط.

الإمام الكاظم عليه السلام والعقائد المنحرفة عن أهل البيت عليهم السلام

كان ترك الامتثال للنصّ الإلهيّ على إمامة عليّ بن أبي طالب عليه السلام بداية للاختلافات اللاحقة الّتي حدثت في صفوف المسلمين. وقد طُرح الكثير من الآراء الّتي كانت تؤدّي بشكلٍ طبيعيّ إلى إثارة الاختلافات من قبل أصحاب السلطة، ومن ذلك مسألة إرث النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، ومسألة قتال مانعي الزكاة(٣).

وقد أدّى منع تدوين الحديث ونقله وتسرّب الثقافة اليهودية إلى أوساط المسلمين والتفسير المنحرف للدّين إلى توطيد أركان الحكم الأمويّ الفاسد، وإزاحة أهل البيت عليهم السلام عن الزعامة السياسيّة.

(١) راجع: معجم رجال الحديث، السيّد الخوئي قدس سره: ١١/١٥٤.

(٢) الإمام الصادق والمذاهب الأربعة، م. س: ٣/١٨٠ ـ ١٨١.

(٣) الملل والنحل، م.س: ١/٣١.

وفي نهايــة القــرن الأوّل وحلول القرن الثاني الهجــريّ، برزت إلى الوجود فرق دينيّــة كان من أهمّها الخــوارج والمرجئة والجهميّة والمعتزلــة. وكان عامّة الناس على نهج ملوكهم وولاتهم يبحثون عن دين ينشره أمثال ابن شهاب الزهريّ، ومن قبله عروة بن الزبير، ومن قبله أبو هريرة، وسمرة بن جندب. فتمــت غواية الناس بواسطة الحديث، لأنّ الحديــث كلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ووضعه أمر سهل. ولهذا اتّسعت دائرة نقل الحديث بسرعة.

وعلى الرغم ممّا أعلنه بعض أئمّة أهل السنّة من عدم تجاوز أحاديث النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم عن بضع مئات[٤] فنحن نرى أن عددها تجاوز في أواسط القرن الثاني عشرات الآلاف، ثمّ تجاوز بعد مدّة يسيرة مئات الآلاف. وكانت أكثر الأحاديث الموضوعة في مجالَي الفقه والمسائل الكلاميّة.

وهكــذا وُجد (مذهــب أهل الحديث)، الّذين اعتبروا من سواهم خارجاً عن الدِّين وهو المذهب الّذي ألّــف الجاحظ كتاباً في تأييده ومساندتــه وأطلق عليه اسم "العثمانيّة" (حيث إنّ اسمه عثمان ولقّب بالجاحظ لجحوظ عينيه).

وكان أحــد أوجــه النشاط المتواصــل لأئمّة الشيعة عليهم السلام هو التصدّي لهذه الأحاديــث أو بعبارة أخرى لـ (أهــل الحديث)، فكانــوا يكشفون عن الأحاديث المحرّفة والموضوعــة، وينبّهون في مواقف أخرى إلى عدم صحّة فهم الناس الساذج والسطحيّ لتفسير بعض الآيات المتشابهة والأحاديث.

وسيأتي في الدرس القادم بعض أمثلة ذلك.

خلاصة الدرس

- ظهــرت على مسرح الأحداث بعد شهادة الإمام الصــادق عليه السلام مشاكل عديدة في داخل الصفّ المــوالي لأهــل البيت عليهم السلام وأبرز هذه المشاكل هــو الادّعاءات الّتي انطلق مــن خلالها بعض الناس لحرف مسار الإمامة عن صاحبها الحقيقيّ وهوالإمام الكاظم عليه السلام.
- انقسمــت الأمّة في تشخيص الإمام بعد شهادة الإمــام الصادق عليه السلام فظهرت بعض الفرق مثل الناووسيّة والإسماعيليّة والمباركيّة والسمطيّة والفطحيّة.
- استخدمــت السلطــات العبّاسيّة بعضــ الأساليب للتعتيــم على إمامة ومرجعيــة أهل البيت عليهم السلام، وعملت على تقوية بعض القوى الضالّة والمنحرفة.

---

(٤) راجع مقدّمة ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: عبد الرحمن بن خلدون المغربي: ٤٤. دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٤.

٧

الدرس السابع

مشكلة الإمام الصادق عليه السلام والسلطة الحاكمة بعده ٢

الدرس السابع

مشكلة الإمام الصادق عليه السلام والسلطة الحاكمة بعده

٢

أهداف الدرس:

١. أن يتعرّف الطالب إلى بعض الفرق الضالّة عن خطّ الإمامة.

٢. أن يتبيّن مواجهة الإمام الكاظم عليه السلام للعقائد المنحرفة.

بعض المواقف الفكريّة الّتي تزامنت مع حياة الإمام الكاظم عليه السلام وتصدّي الإمام عليه السلام لها:

١. من الروايات الّتي تمسّك بها أهل الحديث وأكثروا من تناقلها، حديث نزول الله إلى السماء الدنيا. فعن أبي هريرة أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال - نعوذ بالله من ذلك -: "يتنزّل ربّنا تبارك وتعالى كلّ ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له"[(١)]. وقبول هذه الرواية يستلزم الاعتقاد بالتشبيه، والقبول بتنقّل الله من مكانٍ لآخر- تعالى الله عن ذلك-. وعمل أهل الحديث على نشر هذه العقيدة (وعلى رأسهم أحمد بن حنبل)

إنّ هذه الروايات لم توضع في زمن أحمد بن حنبل، بل إنّ الكثير منها كان متداولاً قبل ذلك بين الناس. ولهذا السبب نرى أصحاب الأئمّة كثيراً ما يسألون الأئمّة عن هذه الأحاديث، فقد سُئل الإمام الكاظم عليه السلام عن الحديث الموضوع حول نزول الله تعالى، فقال عليه السلام: «... إنّ الله لا ينزل، ولا يحتاج إلى أن ينزل، إنّما منظره في القرب والبعد سواء، لم يبعد منه قريب، ولم يقرب إلى من يحرّكه أو يتحرّك به، فمن ظنّ بالله الظنون هلك. فاحذروا في صفاته من أن تقفوا له على حدّ تحدّونه بنقص، أو زيادة، أو تحرّك...»[(٢)].

---

(١) صحيح البخاري، م. س: ١٠١/٤.

(٢) الكافي، م.س: ١٢٥/١.

٢. والمورد الآخر الّذي كان يتمسّك أهل الحديث بظاهره هو آية: «الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى»[٣]. فهؤلاء وبسبب عدم التفاتهم إلى سائر الآيات، وعدم استخدامهم للاستدلال والتعقّل، اعتقدوا وبشدّة بنوع من الرؤية الظاهرية. ولما كان لديهم عدد من الأحاديث في باب التشبيه، فقد كان من الطبيعيّ أن يفسّروا نظير هذه الآيات على ضوء تلك الأحاديث.

وقد سُئل الإمام الكاظم عليه السلام عن معنى هذه الآية فأجاب: «... استولى على ما دقّ وجلّ»[٤]. وورد العديد من الروايات المنقولة في تفسير البرهان عن الأئمّة عليهم السلام وهي كانت إجابات لتساؤلات أصحابهم أو أنّها كانت ردّاً على أهل الجدل.

٣. وفي جانب الجبر والتفويض التزم أهل الحديث بمذهب الجبريّة، وكانوا يُظهرون تزمّتاً شديداً لهذه الفكرة في مقابل التطرّف الّذي كان يبديه أهل المعتزلة.

وعقيدة الجبر لها جذور في الجاهليّة، وبعد ظهور الإسلام نشرها معاوية وأمثاله، لأنّ هذا الاعتقاد يُعين الخلفاء على توطيد دعائم حكمهم ويبرّر لهم أخطاءهم، كما يردع الناس عن معارضتهم أو الاعتراض عليهم.

وتمسّك أهل الحديث ببعض الآيات والروايات لإثبات صحّة معتقدهم.

وعندما سُئل الإمام الكاظم عليه السلام عن رواية تمسّك بها أهل الحديث لإثبات معتقدهم أجاب في رواية الفضل بن شاذان الّذي قال: سألت أبا الحسن موسى بن جعفر عليه السلام عن معنى قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «الشقيّ من شقي في بطن أمّه والسعيد من سعد في بطن أمّه» فقال عليه السلام: «الشقيّ من علم الله وهو في بطن أمّه أنّه سيعمل أعمال الأشقياء، والسعيد من علم الله وهو في بطن أمّه أنّه سيعمل أعمال السعداء»[٥].

هذا بالإضافة إلى غيرها من الروايات الواردة عنه عليه السلام، وفيها يوضح بطلان هذه النظرية، وإثبات نظريّة الأمر بين الأمرين.

---

(٣) سورة طه، الآية: ٥

(٤) الإحتجاج، م.س: ١٥٧/٢.

(٥) التوحيد، محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمّي: ٣٥٦. منشورات جماعة المدرّسين في الحوزة العلميّة، قم.

٤. ومــن الأمثلة الأخرى على الانحراف العقائــديّ لدى المجتمع عقيدة المرجئة عن الإيمان وماهيته. فالمرجئة كانوا يعتقدون – ولأسباب قد تكون سياسيّة – بأنّ الإيمان هو مجرّد تصديق ذهنيّ لا علاقة له بالعمل، كما لا يؤثّر العمل في تقويته أو إضعافه.

وهذا الاعتقاد يعني أنّ الإنسان المسلم يبقى مؤمناً حتّى إذا ارتكب أقبح الذنوب وخالف الشريعة.

وأمّــا أئمّة الشيعــة عليهم السلام فإنّهم كانــوا يؤكّدون ومنذ البداية علــى الجوانب الذهنيّــة والقلبيّة والعمليّة للإيمــان. وقد تصــدّى الإمام الكاظم عليه السلام لمثل هذا الاعتقاد الخاطــئ وفنّده، فعندما سُئل في هذا الصدد قال: «إنّ للإيمان حالات ودرجات وطبقات ومنازل، فمنه التامّ المنتهي تمامه، ومنه الناقص المنتهي نقصانه، ومنه الزائد الراجح زيادته»[1].

وفي نفســ الوقت ينبغي القول إنّ أئمّة الشيعــة – ومن الناحية الكلاميّة – يعتقدون أنّ الإنسان المؤمن بالله ورسوله يبقى مسلماً وإن ارتكب فسقاً، ولا ينقض ذلك إلّا إذا أنكر ضروريّاً من ضروريات الدين.

الإمام الكاظم عليه السلام ما بين خلافة المنصور إلى الهادي

اقترنت إمامة الكاظم عليه السلام بخلافة المنصور (المتوفّى ١٥٨هـ)، والمهديّ (المتوفّى ١٦٩هـ)، والهادي (المتوفّى ١٧٠هـ)، واستمرّت إلى زمان هارون الرشيد.

في عصــر المنصــور قام الإمام عليه السلام ببعضــ الأنشطة وفقاً لمقتضيات المصلحــة ومتطلّبات المرحلة. وكان على رأس هذه الأعمال التصدّي لإثبات إمامته من خلال إبرازه للقدرات الغيبيّة الّتي زوّده الله بها، لأنّ الجوّ العامّ لم يُساعد على تداول النصّ الخاصّ بالوصيّة إليه دون غيره. ثمّ إنّه ونظراً للخواء الروحيّ الناتج عن الانكباب على الحياة الماديّة وإشباع الغرائز بشكلٍ مفرط، والّذي طغى على الحياة في تلــك المرحلة الزمنية بحيــث إنّ المنكرات شاعت وانتشرت، فإنّ الإمــام عليه السلام استطاع من خلال اهتمامــه بالجانب المعنويّ والعبــاديّ أن يغيّر الواقع المنحرف ويخلق شخصيّــات تتميّز بهذا الاتجاه المعنويّ والروحيّ وتكون ذات تأثير إيجابيّ في المجتمع.

ولمّــا مــات المنصور في سنة ١٥٨هـ استولى علــى الخلافة ابنه محمّد المهديّ وبويــع له في تلك السنة.

---

(١) الكافي، م.س: ٢/ ٣٨.

وحاول المهديّ في بداية أمره أن يسلك أسلوباً مرناً مع العلويّين خلافاً لسياسة أبيه محاولاً بذلك تضليل الناس فأصدر عفواً عامّاً عن جميع المسجونين، كما ردّ الأموال الّتي صادرها أبوه ظلماً وعدواناً، وردّ على الإمام الكاظم عليه السلام ما كان صادره أبوه من أموال الإمام الصادق عليه السلام. إلّا أنّ الإمام الكاظم عليه السلام كشف عن حقيقته عندما طالبه بإرجاع فدكٍ إليه بعد أن بيّن الإمام حدود فدك بقوله: «حدّ منها جبل أحد، وحدّ منها عريش مصر، وحدّ منها سيف البحر، وحدّ منها دومة الجندل»[٢]. وبهذا أعلن الإمام عليه السلام أنّ جميع أقاليم العالم الإسلاميّ قد أُخذت منهم وأنّ فدكَ هي رمز لاستحقاق أهل البيت لمنصب الخلافة.

وبعد أن ذاع صيت الإمام الكاظم عليه السلام ونشاطاته، استخدم المهديّ سياسة التشدّد والتضييق عليه عليه السلام فاستدعاه إلى بغداد وحبسه في أحد سجونها ثمّ ردّه إلى المدينة، كما خطّط لقتله.

وشجّع المهديّ العبّاسيّ الوضّاعين في زمنه حتّى قاموا بدورٍ إعلاميّ تضليليّ منحرف، فأحاطوا السلاطين بهالة من التقديس زاعمين أنّهم يمثّلون إرادة الله في الأرض وأنّ الخطأ لا يمسّهم.
وأسرف المهديّ في صرف الأموال الضخمة للانتقاص من العلويّين والحطّ من شأنهم فتحرّك الشعراء والمنتفعون، وأخذوا يلفّقون الأكاذيب في هجاء العلويين. وشاع في عصر المهديّ اللهو وانتشر المجون وسادت الميوعة والتحلّل.

استثمر الإمام عليه السلام فرصة انشغال الحاكم بأموره الخاصّة ليقوم بنشاط عامّ على مستوى الأمّة. وكان العقد الثاني من عصر الإمام الكاظم عليه السلام – المنطبق على السنوات العشر الّتي حكم فيها المهديّ – هو قمّة النشاط المكثّف للإمام عليه السلام. وأصبح له حضور فاعل في الساحة السياسيّة، وسمح لمجموعة من أصحابه أن يلتزموا بالحضور في الجهاز الإداريّ للدولة على الرغم من تحريمه التعامل والتعاون مع الجهاز الحاكم على عامّة شيعته ومواليه.

وكان الإمام عليه السلام يهدف من ذلك إلى عدّة أمور ولتحقيق عدّة نتائج، منها:
الأوّل: الاقتراب من أعلى موقع سياسيّ، من أجل الإحاطة بالمعلومات السياسيّة وغيرها الّتي تصدر

(٢) بحار الأنوار،م.س: ١٥٦/٤٨، والكافي، م.س: ٥٤٣/١.

عن الحاكم.

الثـاني: تحقيـق مهمّة كبرى هــي قضاء حوائج المؤمنــين الشخصيّة من أجل الحفـاظ على عوامل بقــاء واستمرار الوجود الشيعيّ. وهذا كلّه كان مقروناً بالتثقيف السياسيّ لشيعته بحرمة التعامل مع الظالمين.

ومن هنا نلاحظ تبرّم عليّ بن يقطين وإصراره على ترك العمل لدى السلطان الظالم.

قـال علــيّ بن طاهر: استأذن عليّ بن يقطين مولاي الكاظـم عليه السلام في ترك عمل السلطان، فلم يأذن له، وقال عليه السلام: «لا تفعل فإنّ لنا بك أُنساً، ولإخوانك بك عزّاً، وعسى أن يجبر بك كسراً، ويكسر بك نائرة المخالفين عن أوليائه.

يــا علــيّ: كفّارة أعمالكم الإحســان إلى إخوانكم. اضمن لي واحدة وأضمن لــك ثلاثة: اضمن لي أن لا تلقــى أحــداً من أوليائنا إلّا قضيت حاجته وأكرمته، وأضمــن لك أن لا يظلّك سقف سجن أبداً، ولا ينالك حدّ سيف أبداً، ولا يدخل الفقر بيتك أبداً.

يا عليّ: من سرّ مؤمناً فبالله بدأ، وبالنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ثنّى وبنا ثلّث»[1].

وبعد وفاة المهديّ العبّاسيّ استولى على كرسيّ الخلافة موسى الهادي (ولده) سنة ١٦٩هـ، وتوفّي بعد ثلاثة عشر شهراً في ربيع الأوّل سنة ١٧٠هـ. وكان عمره ستّاً وعشرين سنة[2].

وعلــى الرغم مــن قصر المدّة الّتي حكم فيها الهــادي إلّا أنّها تركت آثاراً سيّئــة على الشيعة وتميّزت بحــدث مهّم في تاريخهم، وهو واقعة فخّ الّتي قـال عنها الإمام الجواد عليه السلام: «لم يكن لنا بعد الطفّ مصرع أعظم من فخّ»[3].

أمّا الأسباب والنتائج لهذه الواقعة فهو ما سيكون موضوع البحث في الدرس القادم إن شاء الله تعالى.

---

(١) بحار الأنوار، م.س: ٤٨/١٣٦.

(٢) تاريخ اليعقوبي، م.س: ٢/٤٠١-٤٠٧.

(٣) بحار الأنوار، م.س: ٤٨/١٦٥.

خلاصة الدرس

- تصـدّى الإمام الكاظم عليه السلام من خلال نشاطه الفكريّ لأصحاب العقائد المنحرفة المتمثّلة بأهل الحديث الّذين أرسوا قواعد التشبيه والتجسيم عبر تمسّكهم بالظواهر.
- عاصر الإمام الكاظم عليه السلام خلافة المنصور العبّاسيّ ثمّ المهديّ الّذي شاعت في عصره المنكرات والاهتمام بشؤون الدنيا فاستغلّ الإمام الفرصة لنشر الوعي والثقافة في أوساط شيعته.
- عمـل الإمام عليه السلام على الاقتراب من المواقع السياسيّة الحاكمة من خلال بعض أصحابه، وذلك بهدف قضاء حوائج المؤمنين ودفع البلاء والأذى عنهم.

٨

الدرس الثامن

الإمام الكاظم عليه السلام ومواقفه السياسيّة ١

الدرس الثامن

الإمام الكاظم عليه السلام ومواقفه السياسيّة ١

أهداف الدرس:

١. أن يتبيّن الطالب أحداث واقعة فخّ.

٢. أن يتعرّف إلى موقف الإمام الكاظم عليه السلام منها.

تمهيد

ذكرنا سابقاً أنّ الفترة الّتي تولّى فيها الإمام الكاظم عليه السلام الإمامة كانت فترة عصيبة على الشيعة، سواء على مستوى تشكيل الوعي العقائديّ والارتباط بشخص الإمام الكاظم عليه السلام، نظراً لمضمون الوصيّة الّتي تركها الإمام الصادق عليه السلام وتعمّد فيها التمويه حذراً من العبّاسيّين فجعل أوصياءه خمسة أحدهم المنصور، أم لجهة الظلم والجور الّذي لحق بالناس عموماً والعلويّين خصوصاً. وهذا ما أدّى إلى نشوب العديد من الأحداث وعلى رأسها واقعة فخّ.

واقعة فخّ

نهض الحسين بن عليٍّ بن الحسن بن الحسن بن عليٍّ بن أبي طالب عليهم السلام وأعلن الثورة على الحاكم العبّاسيّ بسبب الاضطهاد والإذلال الّذي مارسه الخلفاء العبّاسيّون ضدّ العلويّين، واستبداد الخليفة الهادي على وجه الخصوص.

فقد عيّن الهادي ولاة قساة على المدينة مثل إسحاق بن عيسى بن عليّ الّذي استخلف عليها رجلاً من ولد عمر بن الخطّاب يُعرف بعبد العزيز، وكان ظالماً للرعيّة.

وقد بالغ هذا الأثيم في إذلال العلويّين وظلمهم فألزمهم بالمثول عنده كلّ يوم، وفرض عليه م الرقابة الشخصيّة، فجعل كلّ واحد منهم يكفل صاحبه بالحضور، وقبضت شرطته على كلّ من: الحسن بن محمّد بن عبد الله بن الحسن، ومسلم بن جندب وعمر بن سلام، وزعمت أنّها وجدتهم على شراب، فأمر بضربهم وجعل في أعناقهم حبالاً، وأمر أن يُطاف بهم في الشوارع ليفضحهم[1].

---

(١) بحار الأنوار، م.س: ٤٨/١٦١.

وفي سنة ١٦٩هـ عزم الحسين بن عليّ على الخروج وأخبر الإمام الكاظم عليه السلام بالأمر وطلب منه المبايعة، فقال له الإمام عليه السلام: «يا ابن عمّ لا تكلّفني ما كلّف ابن عمّك أبا عبد الله الصادق عليه السلام فيخرج منّي ما لا أريد كما خرج من أبي عبد الله ما لم يكن يُريد، فقال له الحسين: إنّما عرضت عليك أمراً فإن أردته دخلت فيه، وإن كرهته لم أحملك عليه والله المستعان، ثمّ ودّعه»[٢].

جمع الحسين أصحابه، فاجتمعوا ستّة وعشرين رجلاً من ولد عليّ عليه السلام، وعشرة من الحاجّ، وجماعة من الموالي. فلّما أذّن المؤذّن الصبح دخلوا المسجد ونادوا "أحدٌ أحدٌ"، وصعد عبد الله بن الحسن الأفطس المنارة، وأجبر المؤذّن على قول حيّ على خير العمل، وصلّى الحسين بالناس الصبح، وخطب بعد الصلاة وبايعه الناس. وبعد أن استولى على المدينة توجّه نحو مكّة، وبعد أن وصل إلى (فخّ)[٣] عسكر فيه وكان معه ٣٠٠ مقاتل، ثمّ لحقته الجيوش العبّاسيّة. وبعد قتال رهيب استشهد الحسين وأصحابه وأُرسلت رؤوس الأبرار إلى الطاغية، ومعهم الأسرى وقد قُيّدوا بالحبال والسلاسل ووُضع في أيديهم وأرجلهم الحديد، وأمر الطاغية بقتلهم فقُتلوا صبراً وصُلبوا على باب الحبس[٤].

نتائج الثورة وموقف الإمام الكاظم عليه السلام منها

انتهت الثورة باستشهاد الحسين وصحبه. وأخذ الخليفة الهادي يتوعّد من بقي حيّاً منهم، وذَكَر الإمام الكاظم عليه السلام قائلاً: والله ما خرج حسين إلّا عن أمره (أي الإمام الكاظم عليه السلام)، ولا اتّبع إلّا محبّته، لأنّه صاحب الوصيّة في أهل هذا البيت. قتلني الله إن أبقيت عليه[٥].

وكتب عليّ بن يقطين إلى الإمام عليه السلام بصورة الأمر، فلمّا أصبح عليه السلام أحضر أهل بيته وشيعته فأطلعهم على ما ورد عليه من الخبر، وقال: "ما تشيرون في هذا؟" فقالوا: نُشير عليك ونحن معك أن تُباعد شخصك عن هذا الجبّار وتغيّب شخصك دونه.

فتبسّم عليه السلام وأقبل نحو القبلة ودعا بدعاء الجوشن الصغير المعروف الوارد عنه عليه السلام ثمّ قال: قد

---

(٢) الكافي، م.س: ١/٣٦٦.

(٣) فخّ: هو وادٍ بمكّة ـ معجم البلدان، الحموي: ٢٤/٢٣٧.

(٤) تاريخ الطبري، م.س: ١٠/٢٩.

(٥) بحار الأنوار، م.س: ٤٨/١٥٠ ـ ١٥٣.

مات في يومه هذا والله ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾[1].

قال الراوي: ثمّ قمنا إلى الصلاة وتفرّق القوم، فما اجتمعوا إلّا لقراءة الكتاب الوارد بموت الهادي والبيعة للرشيد[2].

موقف الإمام من ثورة الحسين بن علي بن الحسن

أمّا الموقف الحقيقيّ للإمام في هذه الثورة فقد ذكرنا سابقاً أنّه عليه السلام لم يكن يريد المواجهة المباشرة لنظام الحكم القائم. وقد صرّح للحسين بن عليّ عندما طلب منه المبايعة بموقفه من الثورة، وذكّره بموقف الإمام الصادق عليه السلام من ثورة محمّد ذي النفس الزكيّة، وسوف يكون موقفه كموقف أبيه عليه السلام. وقد صدر عن الإمام عليه السلام تأييدٌ ومساندة صريحة لحركة الحسين وثورته عندما عزم عليها في قوله عليه السلام: «إنّك مقتول فأحدّ الضراب، فإنّ القوم فسّاق يُظهرون إيماناً ويُضمرون نفاقاً وشركاً...»[3]٨. ولمّا سمع الإمام عليه السلام بمقتل الحسين بكاه وأبّنه ورثاه بكلمات منها: «... مضى والله مسلماً صالحاً صوّاماً قوّاماً، آمراً بالمعروف، وناهياً عن المنكر»[4].

الإمام الكاظم عليه السلام وهارون الرشيد

عاصر الإمام الكاظم عليه السلام هارون الرشيد لمدّة (١٤) سنة وأشهراً. وكانت هذه السنوات من أشدّ المراحل في حياته.

وقد حفلت بالآلام، حيث صبّ فيها هارون كلّ الحقد الجاهليّ ضدّ أهل البيت عليهم السلام.

واتّبع بدهائه سياسة تميّز بها عمّن سبقه، والّتي كان من شأنها شلّ حركة الإمام عليه السلام، وعزله عن الأمّة تمهيداً لقتله فيما بعد.

من هنا كان الإمام عليه السلام قد انتهج أساليب أخرى من العمل للمرحلة الجديدة.

---

(١) سورة الذاريات، الآية: ٢٣.

(٢) بحار الأنوار، م.س: ١٥٠/٤٨.

(٣) م.ن: ١٦١/٤٨.

(٤) م.ن: ١٦٥/٤٨.

أمّا الملامح العامّة لحكم هارون الرشيد وعهده فيمكن اختصارها بما يلي:

١. تقمّص الرشيد الخلافة وهو في عنفوان الشباب، لم يذق محن الأيّام ولم تصقله التجارب. وجاء إليه الحكم والملك بعد نجاح مؤامرة اغتيال الهادي، والّتي اشتركت في تدبيرها خيزران (أمّه)، ورئيس وزرائه يحيى البرمكيّ[٥].

٢. استوسقت له الأمور ونال من دنياه كلّ ما اشتهى، فامتدّ نفوذه في ساحة كبيرة من المعمورة، حتّى أثر عنه خطابه للسحاب: "اذهبي إلى حيث شئت يأتني خراجك"[٦].

٣. جُبي له الخراج من جميع الأقاليم الإسلاميّة، وأصبح بيت المال أضخم مستودع للمال في العالم، وأصبحت بغداد مستودع الثراء الفاحش.

٤. أوكل تدبير أمور الرعيّة إلى يحيى البرمكيّ، وأسند إليه جميع السلطات وانصرف هو إلى ملذّاته، حتّى أنفق قسماً كبيراً من الخزينة العامّة على الماجنين والمطربين والجواري.

٥. كان مولعاً بالغناء منذ حداثة سنّه، فقد نشأ بين أحضان المغنّيات واجتمع في قصره عدد كبير منهنّ حتّى جعل المغنّين طبقات، وأدمن على شرب الخمرة وألعاب القمار[٧].

٦. في عهده عمّت الدعارة وانتشر المجون وتدهورت الأخلاق وأُقبرت الفضائل.

٧. ساس العلويّين بسياسة جدّه المنصور وهي سياسة العنف والجور، حتّى أقسم على استئصالهم قائلاً: "والله لأقتلنّهم ولأقتلنّ شيعتهم"[٨]. وأقدم على هدم الدور المجاورة لقبر الحسين عليه السلام وأمر بحرث أرض كربلاء ليمحو كلّ أثر للقبر الشريف[٩].

٨. أصبح الاتّهام بالزندقة وسيلةً للقضاء على خصوم العبّاسيّين. وتعدّى الاتّهام لكلّ من يناقش أحاديث الصحابة أو يردّها، وبذلك استحلّوا إراقة دماء الشيعة. وكان المتّهم بالإلحاد تُقبل توبته بينما المتّهم بالولاء لأهل البيت عليهم السلام كان يُحكم عليه بالمروق من الدِّين. وبهذا حُكم بالإعدام على الشيعة وزجّوا في غياهب السجون.

٩. ظهرت مشكلة الخلاف في خلق القرآن عند ظهور أمر المعتزلة وانتشار أفكارهم، حيث أعلنوا

---

(٥) تاريخ اليعقوبي، م.س: ٢/٤٠٦.

(٦) نقش خواتيم النبيّ والأئمة عليه م السلام، السيّد جعفر مرتضى:٥٨.

(٧) الأغاني، م.س: ٥/٦٩ ـ ٢٢٥.

(٨) م.ن.

(٩) الأمالي، الشيخ الطوسي، م.س: ٣٢٩.

القـول بخلـق القرآن بعـد أن كان الجعد بن درهم قـد ابتدع فكرة خلق القـرآن في أواخر الدولة الأمويّـة. وقد قتل الرشيد من كان يقول بذلك. وأخذت تتّسع هذه الظاهرة حتّى ساندها المأمون في عهده وحمل الناس بالقهر عليها.

١٠. جـرت أعظم نكبـة في التاريخ للبرامكة بعد أن كانت الدنيا بأيديهـم يتمتّعون بلذائذها ونعيمها، فغزاهـم الدهر بنكباته فصاروا من الذلّ والهوان بأقصى مكان فصودرت أموالهم، وقتل جعفر وقذف أبو يحيى البرمكيّ وباقي أسرته في ظلمات السجون، حتّى بلغ سوء حالهم أنّ من كان يذكر أيّامهم كان ينال العقوبة والعذاب.

خلاصة الدرس

- حصلـت في مرحلة إمامة الإمـام الكاظم عليه السلام ثورات عدّة كان من أهمّها ثورة الحسين بن عليّ بن الحسن المثنّى بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام. وكان من أسبابها الاضطهاد والإذلال الّذي مارسه الخلفاء العبّاسيّون ضد العلويّين واستبداد الخليفة الهادي على وجه الخصوص.
- أسفـرت هـذه الثورة الّتي عرفت بـ (واقعة فخّ) عـن استشهاد الحسين ومن معـه، وكان الإمام الكاظم عليه السلام قد حذّر الحسين من أن نهاية الثورة ستكون كذلك.
- عاصر الإمام الكاظم عليه السلام هارون الرشيد وكانت هذه المرحلة الّتي دامت حوالى (١٤ سنة) من أشدّ المراحل في حياته عليه السلام.
- تميّـزت شخصيّة هارون بعدّة أمـور منها: اتّساع نفوذه لساحة كبيرة مـن المعمورة، إيكال تدبير أمـور الرعيّـة إلى يحيـى البرمكيّ وانصرافـه إلى ملذّاته وشهواتـه، ومعاملتـه العلويّين بالظلم والاضطهاد.

٩

الدرس التاسع

الإمام الكاظم عليه السلام ومواقفه السياسيّة ٢

الدرس التاسع

الإمام الكاظم عليه السلام ومواقفه السياسيّة ٢

سياسة الرشيد وأساليبه مع الإمام الكاظم عليه السلام

تسلّم هارون الرشيد زمام السلطة من العام ١٧٠هـ، وحتّى العام ١٩٣هـ. وتشير الروايات الواردة بشأن حياة الإمام الكاظم عليه السلام إلى المصاعب الّتي تعرّض لها على يد هارون الرشيد. وهذه المرحلة من حياة الإمام عليه السلام يمكن تقسيمها إلى قسمين:

١. مرحلة العلاقة بين الإمام عليه السلام وهارون الرشيد، وأساليبه مع الإمام عليه السلام.
٢. مرحلة القبض على الإمام عليه السلام وسجنه ومن ثمّ شهادته عليه السلام.

أمّا المرحلة الأولى فكانت سياسة الرشيد فيها محاولة شلّ حركة الإمام عليه السلام ونشاطه والاتّهام السياسيّ حيناً، وأحياناً أخرى الإكرام والتعظيم نفاقاً وكذباً. فمن أساليب الرشيد الّتي كان يهدف منها إلى تخويف الإمام عليه السلام، اتّهامه بأعمال سياسيّة محظورة بنظر الخلافة، مثل جباية الخراج. وعن هذا الاتّهام يقول الإمام الكاظم عليه السلام: «لمّا أُدخلت على الرشيد سلّمت عليه فردّ عليّ السلام ثمّ قال: يا موسى بن جعفر! خليفتان يُجبى إليهما الخراج؟ فقلت: يا أمير المؤمنين أعيذك أن تبوء بإثمي وإثمك، وتقبل الباطل من أعدائنا علينا، فقد علمت أنّه قد كُذب علينا منذ قُبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بما علم ذلك عندك...»[1].

ومنها اتّهام الإمام بانحرافات فكريّة، ومنها السخرية بالإمام عليه السلام حيث دعاه إلى مجلس فيه بعض السحرة الّذين حاولوا الاستهزاء به لكنّهم باؤوا بالفشل. وفي المقابل فإنّ مواقف الإمام عليه السلام من الرشيد لم تكن مواقف استسلاميّة لمخطّطه الّذي كان يهدف منه إلى إخضاع الإمام عليه السلام وتنازله لإرادة الرشيد، بل كانت مواقف يتحدّى بها خطط الرشيد، على الرغم من أنّ بعض المواقف للإمام عليه السلام قد أخذت طابعاً مرناً من الرشيد، وذلك لمعرفة الإمام به وبنواياه حيث راعى عليه السلام في مواقفه مصلحةً أهمّ.

(١) وسائل الشيعة، م.س: ٢٧٥/١٤.

ومن المشاهد الّتي تُعبّر عن حقيقة موقف الإمام عليه السلام من حكومة الرشيد ما ذكره محمّد بن طلحة الأنصاريّ حيث قال: كان ممّا قال هارون لأبي الحسن عليه السلام حين أُدخل عليه: ما هذه الدار؟ فقال عليه السلام: «هذه دار الفاسقين، قال الله تعالى: **﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الرُّشْدِ لاَ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَافِلِينَ﴾**[٢]

فقال له هارون: فدار من هي؟

قال: «هي لشيعتنا فَترة، ولغيرهم فتنة».

فقال: فما بال صاحب الدار لا يأخذها؟

فقال عليه السلام: «أُخذت منه عامرة ولا يأخذها إلّا معمورة».

قال: فأين شيعتك؟

فقرأ الإمام عليه السلام: **﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾**[٣].

قال: فقال له: فنحن كفّار؟

قال: «لا، ولكن كما قال الله: **﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَةَ اللّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾**[٤]»[٥].

وفي رواية أخرى أنّه لما دخل هارون الرشيد المدينة توجّه لزيارة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ومعه الناس، فتقدّم الرشيد إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال: السلام عليك يا رسول الله يا بن العمّ، مفتخراً بذلك على غيره، فتقدّم الإمام عليه السلام فقال: «السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا أبه»، فتغيّر وجه الرشيد وتبيّن الغيظ فيه[٦].

---

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٤٦.

(٣) سورة البيّنة، الآية: ١.

(٤) سورة إبراهيم، الآية: ٢٨.

(٥) بحار الأنوار، م.س: ١٥٦/٤٨.

(٦) م.ن: ١٠٣/٤٨.

المجال السياسي للإمام عليه السلام:

وأمّا في المجال السياسيّ فقد قام الإمام الكاظم عليه السلام بخطوات تربويّة تحصينيّة لشيعته، مثل تأكيد الانتماء السياسيّ لخطّ أهل البيت عليهم السلام، فشدّد على محبّيه وشيعته، وحرّم عليهم التعاون مع السلطات العبّاسيّة الظالمة (باستثناء بعض الحالات مثل قضيّة عليّ بن يقطين)، وموقفه عليه السلام مع صفوان الجمّال يكشف لنا دقّة المنهج التربويّ عنده مع شيعته. فقد دخل صفوان بن مهران الأسديّ على الإمام الكاظم عليه السلام فقال له: «يا صفوان كلّ شيء منك حسن جميل ما خلا شيئاً واحداً. قال: جلعت فداك أيّ شيء هو؟ قال عليه السلام: إكراؤك جمالك من هذا الرجل -يعني هارون الرشيد- قال: والله ما أكريته أشراً ولا بطراً، ولا للصيد، ولا للّهو، ولكن لهذا الطريق - يعني طريق مكّة - ولا أتولّاه بنفسي ولكن أبعث معه غلماني، قال عليه السلام: يا صفوان أيقع كراؤك عليهم؟ قال: نعم جُعلت فداك، قال: أتحبّ بقاءهم حتّى يخرج كراؤك؟ قال: نعم، قال عليه السلام: من أحبّ بقاءهم فهو منهم، ومن كان منهم كان وارداً النار».

فقام صفوان من وقته فباع جماله وأعرض عن مهنته، فبلغ ذلك هارون الرشيد فأرسل خلفه، فلمّا مثل عنده قال له وهو يتميّز من الغيظ: قل يا صفوان: بلغني أنّك بعت جمالك، قال: نعم، قال: ولِمَ؟ قال: أنا شيخ كبير، وإنّ الغلمان لا يقدرون على الأعمال، قال: هيهات إنّي لأعلم من أشار عليك بهذا، أشار عليك موسى بن جعفر، قال: مالي ولموسى بن جعفر؟ قال: دع عنك هذا، فو الله لولا حُسن صحبتك لقتلتك[1].

وفي الوقت الّذي أكّد الإمام عليه السلام فيه على الالتزام بمبدأ التقيّة نشط عن طريق أصحابه بالنفوذ في الجهاز الحاكم، وتصدّر أصحابه مواقع سياسيّة مهمّة في الحكومة العبّاسيّة، ومن هؤلاء: عليّ بن يقطين الّذي تولّى المناصب المهمّة في الدولة مثل ولاية الأهواز وكان عوناً للمؤمنين، وحفص بن غياث الكوفيّ، ولي القضاء ببغداد، وعبد الله بن سنان بن طريف، وكان خازناً للمنصور والمهديّ والهادي والرشيد، والفضل بن سليمان الكاتب البغداديّ، كان يكتب للمنصور والمهديّ، والحسن بن راشد مولى بني العبّاس كان وزيراً للمهديّ وموسى الهادي وهارون الرشيد، وكان هؤلاء من أصحاب الإمام موسى الكاظم عليه السلام ورواة حديثه.

(١) رجال النجاشي، الشيخ أحمد بن عليّ النجاشي: ١٤٦، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدّسة، ط ٥، ١٤١٦هـ.

الإمام الكاظم عليه السلام في سجون هارون الرشيد

وهي المرحلة الثانية من حياة الإمام الكاظم عليه السلام في عهد هارون الرشيد.

وبعد زيارة الرشيد لقبر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أمر الطاغية باعتقال الإمام عليه السلام، فألقي القبض عليه عليه السلام وهو قائم يصلّي عند رأس جدّه النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم. وحُمل عليه السلام على جملٍ إلى البصرة حيث حبسه عيسى بن أبي جعفر في بيت من بيوت المحبس. ولمّا شاع خبر اعتقاله عليه السلام، وعلم الناس مكانه، أوعز الرشيد إلى عيسى يطلب منه فوراً القيام باغتيال الإمام عليه السلام، فثقل الأمر على عيسى وكتب إلى الرشيد رسالة يطلب فيها إعفاءه عن ذلك، فأمر الرشيد بحمله عليه السلام إلى بغداد، وأمر الفضل بن الربيع باعتقاله فأخذه الفضل وحبسه في بيته. ولمّا طالت مدّة الحبس دعا الإمام عليه السلام ربّه بتخليصه من السجن، فاستجاب الله تعالى دعاءه وأنقذه من سجن الطاغية وأطلقه في غلس الليل. وكانت مدّة مكث الإمام عليه السلام في سجن الفضل طويلة، وكان هذا هو الاعتقال الأوّل.

ولمّا شاع ذكر الإمام عليه السلام وانتشرت فضائله ومآثره في بغداد، ضاق الرشيد من ذلك، وخاف منه فاعتقله ثانية وأودعه في بيت الفضل بن يحيى، الّذي امتنع أيضاً عن اغتيال الإمام عليه السلام ورفض طلب هارون لمّا رأى الإمام عليه السلام وإقباله على الله تعالى. فعندئذٍ أمر هارون بالفضل فجُرّد، ثمّ ضربه مائة سوط وخرج متغيّر اللون بخلاف ما دخل، فذهبت قوّته وجعل يسلّم على الناس يميناً وشمالاً.

ونُقل الإمام عليه السلام بعد ذلك وبأمر من هارون إلى سجن السنديّ بن شاهك وأمره بالتضييق عليه، وأن يقيّد الإمام عليه السلام بثلاثين رطلاً من الحديد ويقفل الباب في وجهه ولا يدعه يخرج إلّا للوضوء. فاستجاب هذا الأثيم لذلك، وقابل الإمام عليه السلام بكلّ قسوة وجفاء والإمام صابر محتسب إلى الله سبحانه.

ووكّل السنديّ بالإمام عليه السلام بشّاراً مولاه، وكان من أشدّ الناس بغضاً لآل أبي طالب، ولكنّه لم يلبث أن تغيّر حاله وتاب إلى طريق الحقّ لِمَا رأى من كرامات الإمام عليه السلام، ومعاجزه.[2]

وذهب أكثر المؤرّخين إلى أنّ الرشيد أوعز إلى السنديّ بن شاهك الأثيم بقتل الإمام عليه السلام، فعمد السنديّ إلى رُطب فوضع فيه سمّاً قاتلاً وقدّمه للإمام عليه السلام فأكل منه الإمام عليه السلام وسرى السمّ في

(٢) بحار الأنوار، م.س: ٤٨/٢٤١.

جسده وأخذ يعاني آلاماً شديدة. وبعد أن وصل السمّ إلى جميع أجزاء بدن الإمام عليه السلام فارق الحياة وأظلمت الدنيا لفقده وأشرقت الآخرة بقدومه، وكانت شهادته عليه السلام سنة (١٨٣هـ) وعمره الشريف يوم وفاته خمس وخمسون سنة.

خلاصة الدرس

- استعمل الرشيد مع الإمام عليه السلام أساليب متعدّدة هدف منها إلى شلّ حركته عليه السلام ونشاطه، وتخويفه عليه السلام واتّهامه بأعمال سياسيّة محظورة، وفي مقابل ذلك استطاع الإمام عليه السلام مواجهة الرشيد والقضاء على جميع مخطّطاته.
- اعتُقل الإمام عليه السلام في زمن هارون مرّتين، تنقّل خلالهما بين عدّة سجون كان آخرها سجن السنديّ بن شاهك، الّذي دسّ السمّ في طعام الإمام عليه السلام واستُشهد عليه السلام بسبب ذلك.

١٠

الدرس العاشر

المرجعيّة الفكريّة والسياسيّة للإمام الرضا عليه السلام ١

الدرس العاشر

المرجعيّة الفكريّة والسياسيّة للإمام الرضا عليه السلام ١

أهداف الدرس:

١. أن يتبيّن الطالب الحركة العلميّة أيّام الإمام الرضا عليه السلام.

٢. أن يتبيّن الوضعين الأخلاقيّ والسياسيّ زمن الإمام الرضا عليه السلام.

٣. أن يعدّد بعضاً من الثورات في عصر الإمام الرضا عليه السلام.

الحركة العلميّة والفكريّة أيام الإمام الرضا عليه السلام

في القرن الثاني الهجريّ الّذي عاش فيه الإمام عليّ بن موسى الرضا ؤ اتّسعت الحركة العلميّة، ونشط البحث والتأليف والتدوين وتصنيف العلوم والمعارف، ونشأت المدارس والتيّارات الفلسفيّة والفكريّة، وبدأت حركة الترجمة والنقل من اللّغات المختلفة، وازدحمت المدارس وحلقات الدرس بالأساتذة والطلّاب الذين تناولوا مختلف العلوم.

وقد ازدهرت هذه الحركة العلميّة بشكل خاصّ أيّام الرشيد والمأمون.

وقد ولد الإمام الرضا عليه السلام أيّام أبي جعفر المنصور، وعاصر من خلفاء بني العبّاس المهديّ والهادي والرشيد والأمين والمأمون. وقد كانت هذه الفترة من أغنى فترات الفكر والثقافة الإسلاميّة، ففيها عاش مؤسّسو المذاهب الفقهيّة، أمثال الشافعيّ ومالك بن أنس وأحمد بن حنبل وأبي حنيفة، وفقهاء وأصحاب آراء مختلفة أمثال أبي يوسف القاضي وسفيان الثوريّ ويحيى بن أكثم، وغيرهم من أصحاب العلوم والمعارف الشرعيّة والعقليّة، كالأصمعيّ ومحمّد بن الهذيل العلّاف المعتزليّ والنظّام إبراهيم المعتزليّ. ونشطت مذاهب الفلسفة وعلم الكلام.

وكان الإمام الرضا عليه السلام مفزع العلماء وملجأ أهل الفكر والمعرفة، يُناظر علماء التفسير، ويحاور أهل الفلسفة والكلام، ويردّ على الزنادقة والغلاة، ويُثبّت قواعد الشريعة وأصول التوحيد.

وساعدت السلطة العبّاسيّة على إيجاد الأفكار والتيّارات المنحرفة كادّعاء النبوّة، وأطلقت الحريّة للديانات المحرّفة، ولتيّارات الغلوّ والوقف؛ رغبة منهم في إطفاء نور أهل البيت عليهم السلام.

ومـن الأمثلة على ذلـك انتشار الإفتـاء بالرأي والفتاوى التابعـة لأهواء الحـكّام ورغباتهم، وتفسير القرآن بالرأي، ورواج القياس المذموم القائم على الظنون والأهواء، حتّى قام أحد الفقهاء المعروفين بتحليـل وطء هـارون لجارية كان قد وطأها أبوه من قبل، وقال له: يـا أمير المؤمنين أوكلّما ادّعت أمَة شيئـاً ينبغي أن تُصدّق؟ لا تصدّقها فإنّها ليست بمأمونـة. وحلّل له وطء جارية قبل الاستبراء، وقال لـه: تهبها لبعض ولدك ثمّ تتزوّجها[1]. كما وأشغل الحـكّامُ الناس بالجدال والنقاش العقيم، فشجّع هـارون علـى القول بقِدم القرآن، وقام بقتل من يقول خـلاف ذلك، وحينما سئل عن رجل مقتول بين يديـه أجاب: قتلته لأنّه قال: القرآن مخلوق[2]٢. وتغيّر الـرأي في عهد ابنه عبد الله المأمون، فناقض والده في رأيه، وأشاع القول بخلق القرآن، وقام بسجن وتعذيب أحمد بن حنبل لقوله بِقِدَم القرآن.

المرجعيّة الفكريّة للإمام الرضا عليه السلام

شـكّل الإمـام الرضا عليه السلام في مقابل المحاولات العبّاسيّة مرجعيّةً فكريّة ودينيّة للأمّة. وأصبح محطّ أنظار الفقهاء، ومهوى أفئدة طلّاب العلم.

وكان عليه السلام يقول: «كنت أجلس في الروضة، والعلماء بالمدينة متوافرون، فإذا أعيى الواحد منهم عن مسألة أشاروا عليّ بأجمعهم، وبعثوا إليّ بالمسائل فأجبت عنها»[3].

وكشـف عليه السلام وسائـل التآمر الفكريّ الّتـي تؤدّي إلى بلبلة عقـول المسلمين، وأعطـى قاعدة كلّية في الأساليب والممارسات الّتي يستخدمها أعداء أهل البيت عليهم السلام لتشويه المفاهيم الإسلاميّة، فقال عليه السلام: «إنّ مخالفينا وضعوا أخباراً في فضائلنا وجعلوها على ثلاثة أقسام:

أحدها: الغلوّ، **وثانيها:** التقصير في أمرنا، **وثالثها:** التصريح بمثالب أعدائنا. فإذا سمع الناس الغلـوّ فينا كفّـروا شيعتنا، ونسبوهم إلى القـول بربوبيّتنا، وإذا سمعوا التقصـير اعتقدوه فينا، وإذا سمعوا مثالب أعدائنا بأسمائهم، ثلبونا بأسمائنا»[4].

(١) تاريخ الخلفاء، م.س: ٢٣٣.

(٢) تاريخ ابن كثير، البداية والنهاية، أبو الفداء، إسماعيل بن عمر بن درع القرشي، البصروي، الدمشقي: ٢١٥/١٠. دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.

(٣) إعلام الورى بأعلام الهدى، م.س: ٦٥/٢.

(٤) التوحيد، م. س: ٩٥.

ولذا وضّح الإمام عليه السلام أنّ الأفكار المنحرفة هي من وضع المخالفين لأهل البيت عليهم السلام؛ لتشويه سمعتهم، وتحجيم دورهم في إصلاح الأوضاع على النهج الإسلاميّ الصحيح.

كما قام عليه السلام بخطوات عمليّة للردّ على جميع ألوان الانحراف الفكريّ والتشريعيّ من أجل كسر الإلفة والأنس بين أتباعها وبينها، وردّ على أفكار المشبّهة والمجسّمة والمجبّرة والمفوّضة، وفنّد أفكار الغلاة والزنادقة، وعقائد اليهود والنصارى، وردّ على أصحاب القياس، وعلى الإفتاء والتفسير بالرأي.

الوضع الأخلاقيّ في عصر الإمام الرضا عليه السلام

ساهم الانحراف الأخلاقيّ للحكّام العبّاسيّين وابتعادهم عن المنهج الإسلاميّ في انتشار الفساد عند الأمّة، ومن مظاهر هذا الانحراف:

١. اللّهو واللّعب: كان هارون الرشيد أوّل حاكم لعب الشطرنج، ورمى النشّاب. وكان يُجري سباق الخيل. ولمّا وصل ابنه محمّد الأمين إلى قمّة السلطة أمر ببناء مجالس لمنتزهاته، ومواضع خلواته ولهوه ولعبه وأنفق في بنائها أموالاً عظيمة، وتابع المأمون أباه وأخاه في اللهو واللعب.

٢. الولع بالغناء وبالجواري: لم يكترث الحكّام لما تتعرّض له الدولة والأمّة من مخاطر ومؤامرات، ولم يكن من همّهم تحصين الإسلام، فكان هارون من المولعين بالغناء حتّى جعل المغنّين مراتب وطبقات. وفي الوقت الّذي كان يموت فيه آلاف الجنود لم يكن يكترث لذلك، ولا يؤلمه كثرة القتلى والمعوّقين بل يؤلمه موت جارية من جواريه، فيرثيها بأبيات شعريّة. وكان الأمين يأمر بفرش ساحة مفتوحة بأفخر الفراش، وتهيئة أوانٍ من الذهب والفضّة مع الجواهر، ثمّ يأمر قَيّمة جواريه بأن تُهيّىء له مائة جارية، يصعدن إليه عشراً عشراً بأيديهنّ العيدان، يغنّين بصوت واحد[١].

٣. شرب الخمر: استطاع الحكّام العبّاسيّون الحصول على فقهاء يبرّرون لهم سماع الغناء والولع بالجواري. ولكن من أين لهؤلاء الفقهاء أن يُفتوا بحلّية شرب الخمر الّذي تُعتبر حرمته من الثوابت في الشريعة؟ وعلى الرغم من ذلك نجد هؤلاء الحكّام يجاهرون علناً بهذه المعصية ويشربون الخمر، فكان هارون مدمناً على شرب الخمر وكان يتولّى بنفسه سقاية ندمائه[٢]. وهكذا كان ولداه الأمين

(١) الكامل في التاريخ، م.س: ٦/ ٢٩٥.

(٢) حياة الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام، باقر شريف القرشي: ٣/ ٢٢٤.

والمأمون.

٤. الانحرافات في مجالس الحكّام: لم يكن غريباً على الحـكّام العبّاسيّين الّذين تولّوا الحكم دون سابقة علم وتقوى، ودون مؤهّلات فكريّة وخُلقيّة أن يتعدّوا حدود الله تعالى، ويرتكبوا المحرّمات في مجالسهـم، فقـد كان هارون يستمع إلى ألفاظ الفحش، بل يضحـك تشجيعاً لقائلها، وفي مجلسه كانـت تمارس أمور مصحوبة بالألفـاظ البذيئة. ولم يكتفِ بذلك وإنّما كان يهب لمرتكبيها مالاً[٣] من بيـت مـال المسلمين. وأمّا ابنـه الأمين فهو - كما يصفـه ابن الأثير: لم نجد في سيرتـه ما يُستحسن ذكره، من حلم أو معدلة أو تجربة، حتّى نذكرها[٤].

وفي مجالس المأمون كان يكثُر الغزل المباشر.

٥. الممارسـات المنحرفـة لأتباع الحكّام: كان المقرّبون للحكّام والولاة في بغداد والكرخ يُظهرون الفسـق، ويختطفون الغلمان والنساء علانية من الطرق. وكان الطبريّ بعد ذكره لمثل هذه الممارسات يقول: «لا سلطان يمنعهم، ولا يقدر على ذلك منهم، لأنّ السلطان كان يعتزّ بهم وكانوا بطانته»[٥].

وهـذا الانحراف لم ينحصر في البلاط الحاكم، وإنّما امتـدّ إلى جميع من يرتبط بالبلاط، وانعكس أثره على الأمّة لوجود المقتضي وهو تشجيع الحكّام للانحراف.

خلاصة الدرس

- نشطت الحركة العلميّة في القرن الثاني الهجريّ الّذي عاش فيه الإمام الرضا عليه السلام. وفي عصره عليه السلام عاش عدد من مؤسّسي المذاهب الفقهيّة والكلاميّة والفلسفيّة. وكان الإمام مفزع العلماء وملجأ أهل الفكر والمعرفة.
- ساعـدت السلطة العبّاسيّة على انتشار المذاهب والأفـكار المنحرفة رغبةً منها في إطفاء نور أهل البيت عليهم السلام.
- انتشر في عصر الإمام الرضا عليه السلام الانحراف الأخلاقيّ والّذي كان السبب الأوّل فيه حكّام بني العبّاسـ. وأبرز مظاهر هذا الانحـراف تجلّى في اللهو واللعب والولع بالغنـاء وبالجواري وشرب الخمر.

---

(٣) تاريخ الطبري، م.س: ٣٤٩/٨ و٣٥٠.

(٤) الكامل في التاريخ، م.س: ٢٩٥/٦.

(٥) تاريخ الطبري،م.س: ٥٥١/٨ و٥٥٢.

١١

الدرس الحادي عشر

المرجعيّة الفكريّة والسياسيّة للإمام الرضا عليه السلام ٢

الدرس الحادي عشر

المرجعيّة الفكريّة والسياسيّة للإمام الرضا عليه السلام ٢

أهداف الدرس:

١. أن يتبيّن الوضع السياسيّ زمن الإمام الرضا عليه السلام.
٢. أن يعدّد بعضاً من الثورات في عصر الإمام الرضا عليه السلام.

الوضع السياسيّ في عصر الإمام الرضا عليه السلام

يُمكن تقسيم الوضع السياسيّ للمرحلة الّتي عاشها الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام إلى مرحلتين:

المرحلة الأولى: مرحلة حكم المهديّ والهادي والرشيد

وكانت مرحلة قاسية صعبة على أتباع أهل البيت عليهم السلام وعلى إمامهم موسى بن جعفر أبي الإمام الرضا عليه السلام.

فقد عاش الإمام الرضا عليه السلام هذه المرحلة الصعبة في كنف أبيه، وكان يشاهد بأمّ عينه محنة أبيه الإمام الكاظم عليه السلام وهو يُنقل من سجن إلى سجن، حتّى شهد نهاية المحنة باستشهاد والده، وما حصل في واقعة فخّ ومذبحة أهل البيت فيها واستشهاد الحسين بن عليّ بن الحسن، ومطاردة العلويّين وهدم دورهم ومصادرة أموالهم وإدخالهم السجون.

كما أنّ الإمام الرضا عليه السلام لم يسلم من ظلم العبّاسيّين، فكذلك لم تسلم كافّة طبقات الأمّة، لهذا نشاهد ثورات العلويّين تمتدّ في بلاد الديلم وخراسان والأهواز والبصرة والكوفة والمدينة ومكّة وأفريقيا واليمن وغيرها من البلدان الإسلاميّة. وبرزت إلى العلن مواقف واضحة جليّة لدى أئمّة المذاهب ووجوه المجتمع، ورجال السياسة وكلّها تظهر التأييد لأهل البيت عليهم السلام.

المرحلة الثانية: مرحلة الصراع على السلطة

فقد عهد الرشيد في حياته بولاية العهد وتقسيم السلطة والملك بين أبنائه الثلاثة الأمين والمأمون والقاسم، وجعل الخلافة بينهم الواحد تلو الآخر ابتداءً من الأمين فالمأمون فالقاسم. وحدّد لكلّ منهم دائرة نشاطه وإدارته وحدود تصرّفه، فأعطى الأمين ولاية العراق والشام حتّى آخر المغرب،

وأعطــى المأمــون من همدان إلى آخر المشــرق، وأعطى القاسم الّذي سمّــاه المؤتمن الجزيرة والثغور والعواصم[1].

ومــا أن انتهــت حياة الرشيــد وانتقلت السلطة للأمــين واستقرّ به الملك والسلطــان حتّى أقنعه بعض خواصّــه بأن يخلع أخاه المأمــون ويسحب منه ولاية العهد، ويجعل الخلافة من بعده لابنه موسى (ابن الأمين).

وراح يهيّــىء لنقل الخلافة لولده موسى ويدعو له علــى المنابر، وطلب من المأمون أن يؤيّد هذا القرار فرفضــ ذلــك وتمــرّد على خلافة الأمــين وأعلن خلعــه والتحلّل من بيعتــه، وراح يعــدّ ويُهيّئ للحرب والصدام المسلّح مع أخيه الأمين.

وبدأ الأمين شنّ الحرب على المأمون فأرسل عليّ بن عيسى أحد قوّاده لقتال المأمون في خراسان.

وبــدأت الحــرب ونشب الصراع فانهزم عليّ بن عيسى أمام طاهر بــن الحسين قائد جيوش المأمون.

وتقــدّم طاهــر بن الحســين وزحف نحو بغــداد فحاصرها مدّة سنــة ونصف تقريبــاً واضطرّ الأمين للتسليم بعد حربٍ دمويّة رهيبة ودمار اقتصاديّ ومدنيّ مروّع، فسقطت بغداد مقرّ خلافته واستسلم لطاهــر بــن الحسين فقتله ولم يقبل له عذراً، وحمــل رأسه إلى خراسان، وسلّــم الرأس إلى المأمون.

وهكــذا انتهــى حكم الأمين بعد أن دام أربع سنوات وعدّة شهور. وخضعت الدولة العبّاسيّة خلال هذه الفــترة لهزّات واضطرابات وصراع دمويّ وسياسيّ وإنهاك اقتصــاديّ عنيف، فاستغلّ العلويّون هذا الوضــع السياسيّ المضطرب وتلك الظروف المؤاتية بعد أن ضاق عليهم الخناق طول الفترة العبّاسيّة المنصرمة، وقاموا بثورات وانتفاضات عدّة.

الثورات والانتفاضات في عصر الإمام الرضا عليه السلام:

أدّت سياســة الاضطهاد الّتي مارسها العبّاسيّــون إلى التحرّك المسلّح، وإعلان الثورات. وكان طبيعيّاً أن يستثمر العلويّون فرصة ارتباك السلطة واضطراب الأوضاع للقيام بالثورة على السلطة، وكان من أبرز هذه الثورات:

(١) الكامل في التاريخ، م.س/٦/٢٣.

١. ثورة (ابن طباطبا)

وهو محمّد بن إبراهيم بن إسماعيل بن الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب، وبدأت سنة ١٩٩هـ. في العراق في مدينة الكوفة، حيث أنصاره وأتباعه، وكان قائده الّذي تولّى شؤون الجيش وإدارة المعركة هو (أبو السرايا) السريّ بن منصور الشيبانيّ. وتمّ الاستيلاء على الكوفة، وضُربت الدراهم بغير سكّة العبّاسيّين، فوجّه العبّاسيّون إليه جيشاً قوامه عشرة آلاف مقاتل واستطاع الثوّار التغلّب عليه. وإثر وفاة ابن طباطبا بعد هذه المعركة جرت عدّة معارك انتصر فيها أبو السرايا إلى أن هزمه العبّاسيّون في سنة (٢٠٠هـ)، حيث قُتل وحُمل رأسه إلى المأمون ونُصبت جثّته على جسر بغداد بعد أن دامت حركته مدّة عشرة أشهر فقط.

٢. ثورة إبراهيم ابن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام

انفجرت هذه الثورة إثر قيام ثورة أبي السرايا وابن طباطبا حيث تحرّك إبراهيم نحو اليمن ومنها انطلق بالثورة بعد أن استولى عليها.

٣. ثورة محمّد ابن الإمام الصادق عليه السلام

انطلقت من المدينة المنوّرة وبايعه أهلها. ويُذكر أن سبب هذه الثورة أنّ رجلاً كتب كتاباً في أيام أبي السرايا يسبّ فيه فاطمة الزهراء عليها السلام، وكان محمّد بن جعفر معتزلاً تلك الأمور لم يدخل في شيء منها، فجاء الطالبيّون فقرأوه عليه، فلم يردّ عليهم جواباً حتّى دخل بيته، فخرج عليهم وقد لبس الدرع وتقلّد السيف، ودعا إلى نفسه، وتسمّى بالخلافة، وتوفّي محمّد بن جعفر أيّام خلافة المأمون.

٤. ثورة العبّاس بن محمّد بن عيسى الجعفريّ: انطلقت من البصرة.

٥. ثورة الحسين بن الحسن الأفطس: انطلقت من مكّة.

٦. ثورة إسماعيل بن موسى بن جعفر: انطلقت من بلاد فارس.

وغيرها من الثورات الّتي أطلقها العلويّون وألهبوا فيها أرجاء الدولة العبّاسيّة، ورفعوا رايات الجهاد.

وكان لهذه الثورات أثر كبير في اهتزاز الأوضاع الداخليّة وإرباك المواقف العسكريّة والسياسيّة.

لكنّ الإمام الرضا عليه السلام لم يتحرّك ولم يشارك بواحدةٍ منها، مع ما له من مقام سياسيّ ومكانةٍ اجتماعيّة مرموقة، لأنّه كان يعلم ما ستنتهي إليه هذه الثورات، كما كان موقف آبائه الكاظم والصادق والباقر عليهم السلام. إلّا أنّ هذا لا يعني عدم ممارسة الإمام الرضا عليه السلام لمهامه القياديّة، فإنّ الوقائع والأحداث تشير إلى أنّه كان يتحرّك بشكلٍ سرّيّ، ويوجّه الثوّار، ويعطيهم النصائح وما شاكل ذلك.

ومن هنا أوجد المأمون العبّاسيّ مشروعاً سياسيّاً لتطويق الإمام الرضا عليه السلام، وهو مبايعته عليه السلام بولاية العهد والخلافة ومن بعده، باعتباره الإمام من أهل بيت النبوّة، والقائد البارز والسيّد العَلَم في عصره. ولم يكن هذا الأمر من المأمون إلّا عن حيلة ودهاء أراد من خلاله أن يُسكت الأصوات المعارضة لحكمه، وأن يُخرج نفسه من الأزمة السياسيّة الّتي أحاطت به.

الإمام الرضا عليه السلام وولاية العهد

في سنة ٢٠٠هـ وبعد عامين من سيطرة المأمون على زمام السلطة كتب إلى الإمام الرضا عليه السلام يدعوه للقدوم إلى خراسان، فاعتلّ الإمام عليه السلام بعلل كثيرة، واستمرّ المأمون بمكاتبته ومراسلته حتّى علم عليه السلام أنّه لا يكفّ عنه، فاستجاب له مكرهاً.

وأمر المأمون الشخص الموكّل بالإمام الرضا عليه السلام أن لا يسير به عن طريق الكوفة وقمّ حيث يوجد شيعة أهل البيت عليهم السلام.

وعند وصوله إلى "مرو" عرض عليه أن يتقلّد الخلافة، فأبى عليه السلام هذا العرض، وجرت بينهما مخاطبات كثيرة دامت نحواً من شهرين، والإمام عليه السلام يأبى الموافقة، وحينما يئس المأمون عرض عليه ولاية العهد، فأجابه الإمام عليه السلام إلى ذلك بعد الإلحاح الشديد والتلويح بالقتل، وشرط عليه شروطاً منها: "إنّي أدخل في ولاية العهد على أن لا آمر، ولا أنهى، ولا أقضي، ولا أُغيّر شيئاً ممّا هو قائم، وتعفيني من ذلك كلّه" [1]. فقبل منه المأمون ما شرطه عليه الإمام عليه السلام، وتمّت توليته ولاية العهد في الخامس من شهر رمضان سنة ٢٠١هـ.

(١) عيون أخبار الرضا، م.س: ٢/١٤٩ و١٥٠.

خلاصة الدرس

- عاش الإمام عليه السلام ظروفاً سياسيّة صعبة في مرحلة حكم المهديّ والهادي والرشيد، حيث عايش ظلم العبّاسيّين لأبيه الكاظم، وكذلك أتباع أهل البيت عليهم السلام.
- عاصر الإمام عليه السلام مرحلة الصراع على السلطة بين ولدي هارون (الأمين والمأمون).
- تفجّرت ثورات متعدّدة في عصر إمامة الإمام الرضا عليه السلام وكان أبرزها ثورة محمّد بن إبراهيم بن إسماعيل المعروف بابن طباطبا.
- بعد سيطرة المأمون على الحكم كتب إلى الإمام الرضا عليه السلام يدعوه للقدوم إلى خراسان، وحاول الإمام عليه السلام عدم الاستجابة ولكنّ المأمون أصرّ على ذلك وقام بتسليم الإمام الرضا عليه السلام ولاية العهد.

١٢

الدرس الثاني عشر

الإمام الرضا عليه السلام ووِلاية العهد ١

الدرس الثاني عشر

الإمام الرضا عليه السلام وولاية العهد ١

أهداف الدرس:

١. أن يستذكر الطالب أهداف المأمون من ولاية العهد.

نقاط حول ولاية العهد:

من أهمّ المسائل التاريخيّة في حياة الإمام الرضا عليه السلام حادثة توليته للعهد، وسنحاول في هذا البحث إلقاء الضوء على بعض جوانبها.

ولأجل توضيح بعض التفاصيل المتعلّقة بهذه المسألة لا بدّ من البحث في الأمور التالية:

- أهداف المأمون من تولية الإمام الرضا عليه السلام

بعد أن تعرّفنا سابقاً إلى كيفيّة دعوة المأمون للإمام الرضا عليه السلام إلى خراسان، وإكراهه على القبول بولاية العهد، لا بدّ أن نعلم أنّ دوافع المأمون من جعل الإمام عليه السلام وليّاً لعهده لم تكن نابعة من ولائه لأهل البيت عليهم السلام بل كان ميله لهم مصطنعاً، إذ لا يعقل أن يضحّي بالحكم الّذي قَتَل من أجله أخاه والآلاف من الجنود والقادة، ثمّ يسلّمه بكلّ سهولة إلى غيره.

وفعلاً لم يدم الأمر طويلاً - كما أخبر الإمام عليه السلام - فقد اغتيل الإمام الرضا عليه السلام ورحل إلى ربّه على الرغم من أنّه كان سالماً في بدنه من الأمراض، بينما بقي المأمون على رأس السلطة حيّاً بعد الإمام عليه السلام.

وأهداف المأمون ودوافعه كانت نابعة من مصلحة الحفاظ على حكمه، وإلّا فما معنى التلويح والتهديد بالقتل لإجبار الإمام عليه السلام على قبول ولاية العهد؟!

ويمكن تحديد أهداف المأمون في النقاط التالية:

١. تهدئة الأوضاع المضطربة

اضطربت أوضاع الحكم بسبب القتال الدامي بين الأخوين (الأمين والمأمون)، إضافة إلى قيام الثورات والحركات المسلّحة، وازدياد عدد المعارضين لحكمه. فأراد المأمون من تقريب الإمام عليه السلام

استقطـاب أعوانه وأنصاره، وإيقاف حركاتهم المسلّحة ليتفرّغ إلى بقيّة الثائرين والمتمرّدين الّذين لا يُعتد بهم قياساً للثوّار العلويّين.

وأراد كسب ودّ الأغلبيّة العظمى من المسلمين لارتباطهم العاطفي والروحي بالإمام عليه السلام ، وخصوصاً أهـل خراسان الّذين أعانـوه على احتلال بغداد، والشاهد على ذلـك استقبال الإمام عليه السلام من قبل عشرين ألف عالم وفقيه وصاحب حديث في نيسابور.

وبتقريب الإمام عليه السلام كان يمكن امتصاص نقمة المعارضة وتفويت الفرصة عليها للمطالبة بالحكم.

٢. إضفاء الشرعيّة على الحكم القائم

لم يصـل المأمـون إلى الحكم بطريقة شرعيّة، وكان إقرار حكمه من قبـل الفقهاء نابعاً من الترغيب والترهيب، أو استسلاماً للأمر الواقع، وعدم القدرة على تغييره.

لـذا، فـإنّ ما قام بـه المأمون مـن تولية الإمام عليه السلام يُمكـن أن يحقّق لـه ما يصبو إليه مـن إضفاء الشرعيّة على حكمه، مستفيداً من الولاء الفكريّ والعاطفي للإمام عليه السلام في نفوس المسلمين.

٣. منع الإمام من الدعوة لنفسه

الإمـام مسؤول عن دعوة الأمّـة للارتباط بالإمام الحقّ والمنهج الحقّ. والمتعـارف عليه أنّ وليّ العهد يدعـو للحاكـم الفعليّ ثمّ لنفسه. ومن هنا كان تفكير المأمون منصبّاً على توجيه دعوة الإمام لنفسه. وقـد صـرّح بهذه الحقيقة بقولـه: قد كان هذا الرجل مستـتراً عنّا يدعو إلى نفسه دوننـا، فأردنا أن نجعله ولي عهدنا، ليكون دعاؤه إلينا[١].

٤. إبعاد الإمام عن قواعده

إنّ وجـود الإمـام عليه السلام في العاصمة بعيداً عن مدينة جدّه صلى الله عليه وآله وسلم يعني انفصاله عن قواعده الشعبيّة، وتحجيم الفرص المتاحة للاجتماع بوكلائه ونوّابه المنتشرين في شرق الأرض وغربها، ومن جهة أخرى جعل الإمام تحت الرقابة المباشرة من المأمون الّذي قام بتقريب وإغراء هشام بن إبراهيم الراشديّ. وكان مـن خواصّ الإمام. وولّاه حجابة الإمام عليه السلام، فكان ينقل الأخبار إليه، ويمنع من اتّصال كثير

(١) فرائد السمطين، إبراهيم بن محمّد بن المؤيّد بن عبد الله بن عليّ بن محمّد الجويني الخراساني، تحقيق الشيخ محمّد باقر المحمودي: ٢/٢١٤. منشورات مؤسسة المحمودي، بيروت، ط ١، ١٤٠٠هـ. ١٩٨٠م.

من مواليه به، وكان لا يتكلّم في شيء إلّا أورده على المأمون[1].

٥. إبعاد خطر الإمام عن الحكم القائم

إنّ توسّع القاعدة الشعبيّة للإمام عليه السلام كان يشكّل خطراً حقيقيّاً على حكم المأمون بعد التصدّع الّذي حدث في البيت العبّاسيّ، وخاصّة بعد قيام الثورات المسلّحة، فلو تُرك الإمام عليه السلام في المدينة لأدّى ذلك إلى ضعف السلطة القائمة. وبهذا الصدد قال المأمون: وقد خشينا إن تركناه على تلك الحالة أن ينفتق علينا منه ما لا نسدّه، ويأتي علينا ما لا نطيقه[2].

٦. تشويه سمعة الإمام عليه السلام

أجاب الإمام عليه السلام المأمونَ موضِّحاً دوافعه بقوله: «تريد بذلك أن يقول الناس: إنّ عليّ بن موسى الرضا لم يزهد في الدنيا بل زهدت الدنيا فيه، ألا ترون كيف قبل ولاية العهد طمعاً بالخلافة؟!»[3].

وصرّح المأمون بذلك للعبّاسيّين بقوله:...ولكنّنا نحتاج أن نضع منه قليلاً قليلاً حتّى نصوّره عند الرعايا بصورة من لا يستحقّ هذا الأمر[4].

٧. تفتيت جبهة المعارضة

إنّ المعارضين لحكم المأمون سينظرون إلى الإمام الرضا عليه السلام على أنّه جزء من الحكم القائم، وتتعمّق هذه النظرة حينما يجدون أنّ بعض ولاة المأمون هم من أهل بيت الإمام عليه السلام أو من أتباعه. وإضافة إلى ذلك فإنّ الوالي مكلّف بقمع أيّ حركة مسلّحة، وفي هذه الحالة ستكون المعارضة وجهاً لوجه أمام الولاة المحسوبين على الإمام عليه السلام ممّا يؤدّي إلى تفتيت جبهة المعارضة. والأهمّ من ذلك أنّ الفساد الإداريّ والحكوميّ سَتُلقى مسؤوليّته على هؤلاء الولاة باعتبارهم من أركان الحكم القائم.

---

(١) بحار الأنوار، م.س: ٤٩/١٣٩.

(٢) رفرائد السمطين، م.س: ٢/٢١٤.

(٣) علل الشرائع، م.س: ٢٣٨.

(٤) فرائد السمطين، م.س: ٢/٢١٥.

خلاصة الدّرس

- كانت دعوة المأمون للإمام الرضا عليه السلام بعد سنتين من تولّيه السلطة. وكان يكاتب الإمام عليه السلام ويراسله ويضغط عليه من أجل قبول ولاية العهد. وكان الإمام يمانع ولم يبد قبولاً، حتّى استجاب للمأمون تحت ضغط التهديد بالقتل، وكانت بينهما مخاطبات استمرّت حوالي شهرين.
- قبل الإمام عليه السلام ولاية العهد بشروط، بعد أن هدّده المأمون بالقتل، ومن هذه الشروط: أن لا يأمر ولا ينهى ولا يقضي ولا يغيّر شيئاً ممّا هو قائم. وفعلاً فإنّ الإمام الرضا عليه السلام حتّى وقت استشهاده بالسمّ لم يتدخّل في أمور الدولة إلا بمقدار ما كان فيه خدمة للعامّة.
- وكان المأمون يهدف من تولية الإمام عليه السلام ولاية العهد إلى أهداف متعدِّدة أهمّها:
  1. تهدئة الأوضاع المضطربة.
  2. محاولة إضفاء الشرعيّة على حكمه وسلطته.
  3. محاولة التضييق على الإمام الرضا عليه السلام وحجبه عن قواعده في المدينة والعراق.
  4. إضعاف المعارضة وخصوصاً الشيعيّة منها.
- ومع كلّ ذلك فالإمام عليه السلام عمل على إفشال ما خطّط له المأمون، حيث تمكّن من تعبئة الجماهير المؤمنة بقيادته فضلاً عن فضح السلوك المنحرف للسلطة العبّاسيّة في مناسبات عديدة، كما تمكّن الإمام عليه السلام من إحياء سنّة جدّه صلى الله عليه وآله وسلم وآبائه الكرام عليهم السلام.

١٣

الدرس الثالث عشر

الإمام الرضا عليه السلام
وولاية العهد ٢

الدرس الثالث عشر

الإمام الرضا عليه السلام وولاية العهد ٢

أهداف الدرس:

١. أن يعدّد مبرّرات قبول الإمام عليه السلام بهذه الولاية.

مبرّرات قبول الإمام الرضا عليه السلام ولاية العهد:

لقد قبل الإمام عليه السلام ولاية العهد، ولكن بعد أن عرف أنّ ثمن رفضه لها لن يكون غير نفسه الّتي بين جنبيه. هذا عدا عمّا سوف يتبع ذلك من تعرّض شيعته وأنصاره إلى أخطارٍ هم في غنى عنها...

وفي ذلك يذكر الشيخ الصدوق رحمه الله نقاشاً جرى بين المأمون والإمام عليه السلام، حيث قال المأمون للإمام عليه السلام: يا ابن رسول الله قد عرفت فضلك وعلمك وزهدك وورعك وعبادتك، وأراك أحقّ بالخلافة منّي.

فقال الإمام عليه السلام: «بالعبوديّة لله عزَّ وجلَّ أفتخر، وبالزهد في الدنيا أرجو النجاة من شرّ الدنيا، وبالورع عن المحارم أرجو الفوز بالغنائم، وبالتواضع في الدنيا أرجو الرفعة عند الله تعالى».

فقال المأمون: إنّي قد رأيت أن أعزل نفسي عن الخلافة وأجعلها لك وأبايعك!

قال الإمام عليه السلام: «إن كانت هذه الخلافة لك وجعلها الله لك فلا يجوز لك أن تخلع لباساً ألبسكه الله وتجعله لغيرك، وإن كانت الخلافة ليست لك، فلا يجوز لك أن تجعل لي ما ليس لك».

فقال المأمون: يا ابن رسول الله لا بدّ من قبول هذا الأمر.

قال الإمام عليه السلام: «لست أفعل ذلك طايعاً أبداً».

فما زال يجهد به أيّاماً، فلمّا يئس من قبوله، عرض عليه ولاية العهد، ثمّ جرى بينهما كلام أوضح فيه الإمام عليه السلام دوافع المأمون من ذلك، فغضب المأمون ثمّ قال: إنّك تتلقّاني أبداً بما أكرهه، وقد أمنت سطوتي، فبالله أقسم لئن قبلت ولاية العهد وإلّا أجبرتك على ذلك، فإن فعلت وإلّا ضربت عنقك.

فقال الإمام عليه السلام: «قد نهاني الله عزَّ وجلَّ أن أُلقي بيدي إلى التهلكة، فإن كان الأمر على هذا، فافعل ما بدا لك، وأنا أقبل ذلك على أن لا أُولّي أحداً ولا أعزل أحداً ولا أنقضَّ رسماً ولا سنّة، وأكون في الأمر بعيداً مشيراً».

فرضي منه بذلك، وجعله وليّ عهده، والإمامُ عليه السلام كاره لذلك"[١].

وفي روايـة أُخـرى أنّ المأمون قال للإمام عليه السلام: "إنّ عمر بن الخطّاب جعل الشورى في ستّة، أحدهم جدّك أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب، وشرط فيمن خالف منهم أن يضرب عنقه، ولا بدّ من قبولك ما أريده منك، فإنّي لا أجد محيصاً منه"[٢].

وقـد صرّح الإمام عليه السلام باضطراره للقبول، وكان يقول: «قد علم الله كراهتي لذلك، فلمّا خُيّرت بين قبول ذلك وبين القتل اخترت القبول على القتل»[٣].

وقيل له: يا ابن رسول الله ما حملك على الدخول في ولاية العهد؟

فقال عليه السلام: «ما حمل جدّي أمير المؤمنين على الدخول في الشورى»[٤].

والإمام عليه السلام لم يستسلم للقبول خائفاً من قتله، وإنّما سيكون قتله سبباً في خسارة الحركة الرساليّة، لحاجتهـا إلى قيادتـه في هذه المرحلة، وسيكـون قتله مقدّمة لقتل أهل بيته، أو يـؤدّي إلى ردود أفعال مسلّحة غير مدروسة بدافع الانتقام، وبالتالي تنهار القوّة العسكريّة دون أن تغيّر من الأحداث شيئاً.

على أنّه لا يخفى وجود أسباب ومبرّرات أخرى قد تكون دافعاً لقبول الإمام عليه السلام بهذه الولاية، منها:

١. استثمار الظروف لإقامة الدِّين وإحياء السنّة

إنّ الحرّيّة النسبيّة الممنوحة للإمام الرضا عليه السلام ولأهل بيته وأنصاره هي فرصة مناسبة لتبيين معالم الدِّيـن وإحياء السنّة النبويّة ونشر منهج أهل البيت عليهم السلام في مختلف الأوساط الاجتماعيّة والسياسيّة، وخصوصاً في البلاط الحاكم عن طريق الالتقاء بالوزراء والخواصّ والخدم والحرّاس وغيرهم، وقد صـرّح الإمام عليه السلام بذلك قائـلاً: «اللّهمّ إنّك قد نهيتني عن الإلقاء بيـدي إلى التهلكة، وقد أُكرهت واضطـررت كما أشرفت من قبل عبد الله المأمون على القتل متى لم أقبل ولاية عهده... اللّهمّ لا عهد إلّا عهـدك، ولا ولاية إلّا من قبلك، فوفّقني لإقامة دينـك، وإحياء سُنّة نبيّك محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، فإنّك أنت

(١) علل الشرائع، م.س: ٢٣٧ و٢٣٨.

(٢) الإرشاد، م. س: ٢١٠.

(٣) عيون أخبار الرضا، م. س: ٢/١٣٩.

(٤) م.ن: ٢/١٤١.

المولى وأنت النصير، ونعم المولى أنت، ونعم النصير»[1].

وقد سمحت الظروف للإمام عليه السلام لتبيين المنهج السليم أمام الوزراء والقضاة والفقهاء وأهل الديانات الّذين جمعهم المأمون لمناظرة الإمام عليه السلام، إضافة إلى قيامه بتوجيه المأمون إلى اتخاذ الرأي الأصوب مهما أمكن.

٢. تصحيح الأفكار السياسيّة الخاطئة

من الأفكار السائدة عند كثير من المسلمين عدم ارتباط الدِّين بالسياسة، وأنّه لا يليق بالأئمّة والفقهاء أن يتولّوا المناصب السياسيّة، وأنّ المتّقي هو الزاهد في السلطة والخلافة. وقد حاول العبّاسيّون تركيز هذا المفهوم عند المسلمين، فأراد الإمام الرضا عليه السلام بقبوله ولاية العهد أن يصحّح هذه الأفكار السياسيّة الخاطئة، ويوضّح للمسلمين وجوب التصدّي للحكم في الظروف المناسبة.

والأفكار الخاطئة حقيقة قائمة، فقد دخل أحد أنصار الإمام عليه وقال له: يا ابن رسول الله إنّ الناس يقولون: إنّك قبلت ولاية العهد، مع إظهارك الزهد في الدنيا[2].

ولا يمكن إزالة هذه الأفكار إلّا بتربية مكثّفة تحتاج إلى وقت طويل، اختصرها الإمام الرضا عليه السلام في موقفه العمليّ بقبول ولاية العهد.

٣. إفشال مخطّطات المأمون

من المتوقّع أنّ المأمون سيقوم بتولية العهد لأحد العلويّين. والعلويّ المنصَّب لولاية العهد، إمّا أن يكون: مساوماً، أو انتهازيّاً، أو مخلصاً قليل الوعي، أو واعياً معرَّضاً للانزلاق في مغريات السلطة. وفي جميع الحالات، فإنّ هذا الموقف سيؤدّي إلى شقّ صفوف أنصار أهل البيت عليهم السلام أو توريط العلويّ بممارسات خاطئة تؤدّي إلى تشويه سمعة أهل البيت عليهم السلام أو إلقاء مسؤوليّة الفساد الاقتصاديّ والأخلاقيّ والإداريّ والسياسيّ عليه.

وقد يؤدّي انزلاق من يتولّى العهد من العلويّين إلى قيامه بمعارضة الإمام عليه السلام أو ملاحقة أتباعه وأنصاره.

وبقبول الإمام الرضا عليه السلام لولاية العهد سوف تفوّت الفرصة على المأمون لإمرار مخطّطاته في شقّ

(١) عيون أخبار الرضا، م. س: ١/ ١٩.

(٢) علل الشرائع، م. س: ٢٣٩.

صفوف الحركة الرساليّة، أو إلقاء تبعة المفاسد على من يُنسب إلى أهل البيت عليهم السلام.

٤. تعبئة الطاقات

بعد فشل الثورات العلويّة وانكسارها عسكريّاً، فإنّ الظروف الّتي خلقتها ولاية العهد كانت مساعدة لإعادة بناء القوّة العسكريّة لأهل البيت عليهم السلام، وتعبئة الطاقات بعد إيقاف الملاحقة والمطاردة لها، وهي بحاجة إلى قسط من الراحة لإدامة التحرّك فيما بعد، حينما تكون الظروف مناسبة له.

١٤

الدرس الرابع عشر

الإمام الجواد عليه السلام ومسؤوليّة الإمامة ١

الدرس الرابع عشر

الإمام الجواد عليه السلام ومسؤوليّة الإمامة ١

أهداف الدرس:

١. أن يتبيّن الطالب مفهوم الإمامة.

٢. أن يتعرّف إلى كيفيّة تنصيب الإمام الجواد عليه السلام.

٣. أن يستذكر علاقة الإمام الجواد عليه السلام بمن عاصرهم من الحكّام.

الإمامة في الإسلام

يُشكّل مفهوم الإمامة ركناً أساساً من أركان العقيدة، ومبدأ خطيراً من مبادئ الحياة السياسيّة، والفكريّة، والاجتماعيّة في الإسلام. وقد أجمع المسلمون بمختلف آرائهم، ومذاهبهم، على وجوب الإمامة في الإسلام.

ومن المسائل الّتي احتلّت مكانتها فيما بعد في المباحث الكلاميّة مسألة: هل يمكن أن يتولّى الإمام منصب الإمامة قبل البلوغ؟. وقد اتسمت هذه القضية بطابع الجديّة منذ أن تولّى الإمام الجواد عليه السلام منصب الإمامة عام (٢٠٣هـ) وكان عمره الشريف ما بين ستٍّ وتسعٍ من السنين. وتكرّرت القضيّة أيضاً عام (٢٢٠هـ) بشأن الإمام الهادي عليه السلام، ثمّ انطبقت أيضاً على الإمام المهديّ عجل الله تعالى فرجه الشريف.

فقد كان الشيعة حين استشهاد الإمام الرضا عليه السلام سنة ٢٠٣هـ ينظرون إلى الأمور بقلق بالغ، لأنّ ابنه الجواد ما زال صغير السنّ، ولم يكن لديه ولد آخر. ويذكر بعض المؤرّخين عن هذه الحادثة أنّ الشيعة حاروا واضطربوا ووقع بينهم الخلاف[1].

وقد أدّت حالة الشكّ الّتي حصلت بعد شهادة الإمام الرضا عليه السلام، إلى أن يتّجه بعض الشيعة إلى عبد الله بن موسى أخ الإمام الرضا عليه السلام، إلّا أنّهم لم يكونوا مستعدّين لقبول إمامته بلا دليل

(١) دلائل الإمامة، أبو جعفر محمّد بن جرير بن رستم الطبري: ٢٠٤. منشورات مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط ٢، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

وبرهان، فعرضوا عليه بعض الأسئلة، ولمّا رأوا عجزه عن الإجابة تركوه.

وقد قبل أغلب الشيعة بإمامة الجواد عليه السلام رغم قول بعضهم بحداثة سنّه، فاحتُجّ عليهم باستخلاف داود لسليمان وهو صبيّ يرعى الغنم، كما استدلّ المعتقدون بإمامة الجواد عليه السلام بيحيى بن زكريا وأنّ الله آتاه الحكم صبيّاً، وكذا بعيسى ابن مريم ؤ، وبحكم الصبيّ بين يوسف الصدّيق وامرأة العزيز، وبعلم سليمان بن داود حكماً من غير تعليم، وغير ذلك، فإنّه قد كان في حجج الله ممّن كان غيرَ بالغ عند الناس.

كما أنّ الإمامة بنظر الشيعة الإماميّة تُعتبر قضيّة إلهيّة، فلذلك لم يكن صغر العمر قضيّة مهمّة بالنسبة لهم، هذا

من جهة، ومن جهة أخرى فإنّ القضيّة المهمّة في نظرهم هي ظهور هذا الجانب الإلهيّ في عملهم، حيث كان الأئمّة عليهم السلام موضع امتحان واختبار من شيعتهم، فكانوا يطرحون عليهم مختلف الأسئلة، والتي لا يُجيب عن بعضها إلّا من كانت له هذه العُلقة مع الله سبحانه، وإلّا لم يُقبل ادّعاؤه لهذا المنصب الإلهيّ.

النصّ من الإمام الرضا عليه السلام على إمامة الجواد عليه السلام

تدرّجت النصوص الخاصّة الصادرة عن الإمام الرضا عليه السلام حول إمامة ابنه الجواد عليه السلام من قبل أن يولد، واستمرّ صدورها حتّى قبيل استشهاده، وذلك لتمهيد وإيجاد الأرضيّة اللّازمة للإمامة المبكّرة المتمثّلة في إمامة الجواد عليه السلام، ولا سيّما إذا لاحظنا أنّها تعتبر ظاهرة فريدة في نوعها لأوّل مرّة في تأريخ أهل البيت عليهم السلام. وبالإمكان أن نصنّف النصوص الّتي ناهزت الأربعين نصّاً إلى أصناف، منها: عشرة نصوص يعود تاريخها إلى ما قبل الولادة، وعدّة نصوص صدرت بعد الولادة، وحوالي ١٤ نصاً ترتبط بمرحلة الصبا، وعشرة نصوص تختصّ بمرحلة ما قبل استشهاد الإمام الرضا عليه السلام بدءً بإخراجه من المدينة وانتهاءً باستقراره في خراسان وطوس.

فالمهمّ في قضيّة الإمامة هو النصّ، وقد رواه كثير من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام الأجلّاء وفقاً لما

ذكـره الشيخ المفيد في الإرشاد[1]. وقام الأستـاذ عطاردي بجمع هذه النصوص كلّها تقريباً في كتابه (مسند الإمام الجواد عليه السلام)

ومن قبله بادر العلّامة المجلسيّ أيضاً إلى تخصيص فصل من كتاب بحار الأنوار ذكر فيه النصوص الـواردة في إمامـة محمّد بن عليّ الجـواد عليه السلام. ويتّضح من هذه الروايـات أنّ الإمام الرضا عليه السلام أشـار عـدّة مرّات إلى إمامة ولده، وأطلع أصحابه الأجلّاء علـى هذا الأمر. وفي الحقيقة إنّ استقامة أكثر الأصحاب وثبوتهم على الانقياد للإمام الجواد عليه السلام. وهم الّذين أسندوا تلك الروايات. يُعتبر أفضل دليل على أحقّية إمامة الجواد عليه السلام.

الحالة السياسيّة في عصر الإمام الجواد عليه السلام

إنّ معلوماتنا التاريخيّة عن حياة الإمام الجواد عليه السلام قليلة، والسبب في ذلك يعود إلى

- المضايقـات السياسيّـة الّتي كان ينتج عنها إخفـاء الأخبار المتعلّقة بالأئمّـة عليهم السلام ليكونوا في مأمنٍ يقيهم شرّ الأعداء.
- والسبب الآخر عدم استمرار حياة الإمام عليه السلام طويلاً، حتّى يمكن الحصول على أخبار بشأنها.

وفي الوقت ذاته فإنّ الدولة العبّاسيّة كان السرّ في نجاحها وانطلاقها في بداية الأمر هو ربطها بأهل البيـت عليهم السلام، حيث تحكّـم العبّاسيّون، وتسلّطوا على الأمّة بدعوى القربـى النسبيّة من الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وطلب حقّ آل البيت عليهم السلام تحت شعار الرضا لآل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم.

ومن هنا فإنّه من الطبيعي أن يكون الخطر الحقيقيّ الّذي يهدّد العبّاسيّين وخلافتهم هو من العلويّين الّذين كانوا أقوى منهم حجّةً، وأقرب منهم منزلة إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم.

أمّـا المأمـون العبّاسيّ فقد واجه تحدّيـات كبيرة وخطيرة كانت تهدّد كيان حكمـه وتعصف به، وكان بقاؤه في السلطة يحتاج إلى الكثير من الدهاء والمناورات، لأنّه كان يواجه:

١. تحرّك الشيعة العنيف ضدّه، وثورة أبي السرايا الّتي عمّت الكثير من الحواضر الإسلاميّة.
٢. تكتّل العائلة العبّاسيّة ضدّه ووقوفها إلى جانب الأمين.
٣. وجود المخاطر الخارجيّة من جانب الدول المتربّصة بالدولة الإسلاميّة (كالدولة البيزنطيّة

(١) الإرشاد، م.س: ٣١٧.

وأمام هذه التحدّيات قام المأمون بالأمور التالية:

١. تصفيته لتحرّك أخيه الأمين والقوى المتحرّكة القويّة ضدّه.
٢. القيام بلعبة تولية الإمام الرضا عليه السلام لولاية العهد بالإكراه ليصوّر للأمّة أنّه مع القيادة الشرعيّة.
٣. محاربة وتصفية ثورات العلويّين.
٤. التصفية الجسديّة للإمام الرضا عليه السلام.
٥. التوجّه لبغداد للقضاء على معارضة البيت العبّاسيّ.
٦. إشاعة فتنة خلق القرآن لإشغال الناس بها عمّا يهمّهم.
٧. التوجّه لمحاربة الدولة البيزنطيّة ودفع خطرها.

أمّا الأمّة الإسلاميّة فلا شكّ أنّها كانت تؤيّد قيادة أهل البيت عليهم السلام. وكلّ الوقائع التاريخيّة والشواهد تؤيد ذلك، ومن أهمّها اضطرار السلطة العبّاسيّة للدخول فيما دخلت فيه من تولية الإمام الرضا عليه السلام لولاية العهد والإيحاء بتحويل الخلافة من العبّاسيّين إلى أهل البيت عليهم السلام.

ولكنّ هذا التأييد لقيادة أهل البيت عليهم السلام كان ضمن ثلاثة مستويات، وهي:

١. عموم الأمّة الّتي أصبحت مؤمنة بقيادة أهل البيت عليهم السلام، دون ارتباطها بهم برباط عميق من الوعي.
٢. المعارضون للدولة الّذين يعتمدون الكفاح المسلّح لإسقاطها وإقامة الحكم الشرعيّ.
٣. المؤمنون الذين وعوا القيادة الشرعيّة وهم أصحاب الإمام الرضا عليه السلام وأنصاره.

هذه هي أهمّ ملامح الوضع السياسيّ في مطلع عصر الإمام الجواد عليه السلام.

خلاصة الدرس

- اعتبر التصدّي لإمامة المسلمين فكريّاً وروحيّاً وسياسيّاً في سنّ الطفولة مع استجابة جماهير العلماء لهذه الإمامة ظاهرة فريدة من نوعها تميّزت بها مدرسة أهل البيت عليهم السلام.
- الإمام الجواد عليه السلام هو أوّل إمام تمثّلت فيه هذه الظاهرة الفريدة.
- أقرّ الإمام الرضا عليه السلام هذه الظاهرة وجذّرها في الأمّة من خلال النصوص المرويّة عنه وبكثرة. وكان من جملة نشاطات الإمام الجواد عليه السلام ما ينصبّ على إقرار هذه الحقيقة الفريدة.

١٥

الدرس الخامس عشر

الإمام الجواد عليه السلام ومسؤوليّة الإمامة ٢

الدرس الخامس عشر

الإمام الجواد عليه السلام ومسؤوليّة الإمامة ٢

أهداف الدرس:

١. أن يتبيّن الطالب مفهوم الإمامة.

٢. أن يستذكر علاقة الإمام الجواد عليه السلام بمن عاصرهم من الحكّام.

الإمام الجواد عليه السلام والمأمون

إنّ دراسة وتحليل موقف الخليفتين العبّاسيّين المأمون والمعتصم الّذي تولّى الخلافة من بعده، من الإمام محمّد بن عليّ الجواد عليه السلام يشير بوضوح كامل إلى أهميّة شخصيّة الإمام عليه السلام القياديّة وموقعه الرفيع في النفوس، وميل الأمّة إليه باعتباره الرمز الممثّل لإمامة أهل البيت عليهم السلام في تلك المرحلة.

وقد قضى الإمام الجواد عليه السلام خمسة عشر عاماً من عمره المبارك في حكومة المأمون في الفترة الواقعة بين استشهاد الإمام الرضا عليه السلام سنة (٢٠٣هـ) وموت المأمون سنة (٢١٨هـ). وهي معظم مدّة إمامته الّتي دامت سبعة عشر عاماً إذ اغتيل بعد سنتين من حكومة المعتصم في سنة ٢٢٠هـ.

وكان المأمون يُدرك جيّداً أنّ الإمام الجواد عليه السلام هو الوارث الحقيقيّ لأبيه وهو القائد الشرعيّ لأمّة جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لذلك تعامل في تخطيطه السياسيّ معه تعاملاً جادّاً بصفة أنّ الإمام عليه السلام كان قطباً مهمّاً من أقطاب الساحة السياسيّة الإسلاميّة وقتذاك، فيما يمثّله من قائد مطاع من قبل الطليعة الواعية في الأمّة وما يمتلكه من مكانة واحترام في نفوس قطاعات واسعة من الأمّة.

وقد أعلن المأمون تصوّره هذا أمام العبّاسيّين عندما قالوا له (حينما أراد تزويج ابنته من الإمام الجواد عليه السلام): يا أمير المؤمنين أتزوّجُ ابنتك وقرّة عينك صبيّاً لم يتفقّه في دين الله، ولا يعرف حلاله من حرامه، ولا فرضاً من سنّة؟ (ولأبي جعفر عليه السلام إذ ذاك تسع سنين) فلو صبرت له حتّى يتأدّب ويقرأ القرآن ويعرف الحلال من الحرام. فأجاب المأمون: إنّه لأفقه منكم وأعلم بالله ورسوله

وسنّته وأحكامه، وأقرأ لكتاب الله منكم وأعلم بمحكمه ومتشابهه وناسخه ومنسوخه وظاهره وباطنه وخاصّه وعامّه وتنزيله وتأويله منكم[1]. ولذلك نرى أنّ تعامل المأمون مع الإمام الجواد عليه السلام كان مخطّطاً له بعناية وحنكة. وهذا الأمر يفسّر الأثر الكبير الّذي أخذه زواج الجواد عليه السلام من بنت المأمون وكيف اهتمّ القوّاد والحجّاب والخاصّة والعمّال به.

وعلى أساس ذلك فإنّ تظاهر المأمون بحبّه وتقديره للإمام الجواد عليه السلام، والسياسة الحسنة بحسب الظاهر كانت تخفي أهدافاً له، منها:

- كسب الجماهير المسلمة المُحبّة لأهل البيت عليهم السلام، باعتباره من المحبّين والمكرمين لآل الرسول، وهو نظير ما يقوم به السياسيّون المعاصرون من رفعهم للشعارات الّتي تطمح الأمّة إلى تحقيقها.
- التغطية على جريمة قتله للإمام الرضا عليه السلام، وذلك بإظهار الحبّ والشفقة والاحترام لولده الجواد عليه السلام. وبهذا التصرّف يستطيع المأمون أن يخدع الرأي العام.

أمّا الموقف الحقيقيّ للمأمون فقد كان ينطوي على المكر والخداع ومحاولة الانتقاص والإسقاط لهذه الشخصيّة العظيمة، وذلك من خلال عدّة محاولات جرت من قبله، منها:

روي في الكافي عن محمّد بن الريّان قال: "احتال المأمون على أبي جعفر بكلّ حيلة، فلم يمكنه فيه شيء، فلمّا اعتلّ وأراد أن يبني عليه ابنته (أي يزوّجه) دفع إلى مائتي وصيفة من أجمل ما يكون، إلى كلّ واحدة منهنّ جاماً فيه جوهر، يستقبلن أبا جعفر عليه السلام إذا قعد في موضع الأخيار، فلم يلتفت إليهنّ، وكان رجل يقال له مخارق صاحب صوت وعود وضرب، طويل اللّحية، فدعاه المأمون، فقال: يا أمير المؤمنين إن كان في شيء من أمر الدنيا فأنا أكفيك أمره، فقعد بين يدي أبي جعفر عليه السلام، فشهق مخارق شهقة اجتمع عليه أهل الدار، وجعل يضرب بعوده ويغنّي، فلمّا فعل ساعة وإذا أبو جعفر لا يلتفت إليه يميناً ولا شمالاً، ثمّ رفع إليه رأسه وقال: اتّق الله يا ذا العثنون[2]، قال الراوي: فسقط المضراب من يده والعود، فلم ينتفع بيديه إلى أن مات، قال: فسأله المأمون عن حاله، فقال: لمّا صاح بي أبو جعفر فزعت فزعة لا أفيق منها أبداً»[3].

(١) كشف الغمّة في معرفة الأئمّة، أبو الحسن عليّ بن عيسى بن أبي الفتح الأربلي: ٢/٣٥٣ ـ ٣٥٩. منشورات دار الكتاب الإسلامي، بيروت، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

(٢) العثنون: ما نبت من الشعر أسفل الذقن.

(٣) عوالم العوالم، م.س: ٢٣/٥٢٧ ـ ٥٢٨.

يتجلّـى لنـا من هذه الرواية أنّ المأمـون احتال بكلّ حيلة لإظهار عـدم صلاحيّة الإمام الجواد عليه السلام للإمامـة والقيـادة أمام الناس وأنّـه أولى منه بالخلافـة والقيادة، لكنّه فشل في ذلـك ممّا اضطرّه لسلوك أسلوب آخر يحتوي به حركة الإمام عن طريق تزويجه عليه السلام ابنته.

جرت أكثر من محاولة من قبل المأمون لإحراج الإمام الجواد عليه السلام بالأسئلة الصعبة وذلك من خلال إقحامه في مناقشات مع قاضي القضاة في ذلك الزمان يحيى بن أكثم على أن يسأله مسائل لا يعرف الجواب عنها، ومن ذلك:

سـأل يحيـى بن أكثم (بأمر من المأمون) الإمام الجـواد عليه السلام في مجلس حضره المأمون وجمع غفير من الناس، فقال: ما تقول في مُحرِم قتل صيداً؟

فقـال الإمام عليه السلام: «قتلـه في حلّ أو في حرم؟ عالماً كان المحرم أو جاهـلاً؟ قتله عمداً أو خطأ؟ حرّاً كان المحـرم أو عبداً؟ صغيراً كان أو كبـيراً؟ مبتدئاً بالقتل أو معيداً؟ من ذوات الطير كان الصيد أم من غيرها؟ من صغار الصيد أم من كبارها؟ مصرّاً على ما فعل أو نادماً؟ في الليل كان قتله للصيد أم في النهار؟ محرماً كان بالعمرة إذ قتله أو بالحجّ كان محرماً؟»

فتحيّر يحيى بن أكثم وبان في وجهه العجز والانقطاع، ولجلج حتّى عرف جماعة أهل المجلس أمره.

وكانـت هذه المناظرة بنـاءً لطلب العبّاسيّين الّذين ـ كما ذكرنا ـ استنكـروا على المأمون تزويج الإمام عليه السلام ابنته.

ولـمّـا تفـرّق الناس وبقي من الخاصّة من بقي، قال المأمون لأبي جعفـر عليه السلام: إن رأيت ـ جُعلت فداك ـ أن تذكـر الفقه الّـذي فصّلته من وجوه من قتل المحرم لنعلمه ونستفيـده، فأجاب الإمام عليه السلام عن ذلك بالتفصيل[1].

الإمام الجواد عليه السلام في حكومة المعتصم

المعتصم العبّاسيّ هو أبو إسحاق محمّد بن الرشيد. ولد سنة ثمانين ومائة.كان فاسد الأخلاق وأبعد ما يكون من الاعتصام بالله عزَّ وجلَّ، محدود التفكير ميّالاً للقسوة في تعامله مع خصومه السياسيّين وغيرهم. مال إلى أخواله الأتراك وكوّن جيشاً خاصّاً به وأغدق عليهم الأموال الطائلة. وتعتبر سياسة المعتصم هذه أخطر ما واجهته الدولة العبّاسيّة في مسيرتها.

---

(١) كشف الغمة، م.س: ٢/٣٥٣-٣٥٩.

لم تكن المدّة الّتي قضاها الإمام الجواد عليه السلام في خلافة المعتصم طويلة فهي لم تتجاوز السنتين، كان ختامها استشهاد الإمام الجواد عليه السلام على يد هذا الحاكم العبّاسيّ المنحرف، وذلك عبر خطوتين:

الأولى: استقدام الإمام عليه السلام إلى بغداد ليكون على مقربةٍ منه.

الثانية: اغتيال الإمام الجواد عليه السلام لما يمثّله من خطر حقيقيّ على النظام الحاكم، ولما يملكه من دور فاعل وقياديّ للأمّة، لذلك قرّرت السلطة أن تتخلّص منه عليه السلام.

خلاصة الدرس

- جهد المأمون للتغطية على جريمته في قتل الإمام الرضا عليه السلام باحتفائه بالإمام الجواد عليه السلام ، فتظاهر بالتقدير والاحترام له عليه السلام. وتمثّل هذا الاحتفاء منه بتزويج الإمام عليه السلام ابنته أمّ الفضل بعد إظهار علمه وفضله للعبّاسيّين وغيرهم من المعترضين على هذا الزواج.
- لم يألُ المأمون جهداً في محاولة إفحام الإمام الجواد عليه السلام من خلال أمره لابن أكثم باختباره أمام الآخرين. وقد سبّبت هذه المحاولة ظهور فضل الإمام عليه السلام وعلمه الفائق.
- لم يشهد الإمام الجواد عليه السلام سوى سنتين من حكم المعتصم، حيث تمّ اغتياله بالسّمّ على يد عمّال هذا الخليفة الظالم.

١٦

الدرس السادس عشر

الإمام الهادي عليه السلام والسلطة الحاكمة ١

الدرس السادس عشر

الإمام الهادي عليه السلام والسلطة الحاكمة ١

أهداف الدرس:

١. أن يتعرّف الطالب إلى الحالة السياسيّة المعاصرة للإمام الهادي ليه السلام.

٢. أن يتبيّن علاقة الإمام الهادي عليه السلام بالسلطة الحاكمة.

٣. أن يعدّد بعضاً من الثورات في زمن الإمام الهادي عليه السلام.

إمامة الهادي عليه السلام

تسلّم الإمام الهادي عليه السلام الإمامة وعمره حوالي الست سنوات، وذلك بعد استشهاد أبيه الإمام الجواد عليه السلام عام (٢٢٠هـ). فإمامته عليه السلام هي المصداق الثاني للإمامة المبكّرة الّتي ظهرت في مدرسة أهل البيت عليه م السلام. وعلى هذا الأساس فمن الطبيعيّ أن يكون خضوع علماء الطائفة ووجهائها لإمامته على أساس النصّ المعتبر أو الإحساس المباشر بقابليّات الإمام عليه السلام وقدراته الربّانية الّتي تعتقد الطائفة بلزوم توفّرها في الإمام المعصوم.

ومن الطبيعيّ أن يكون التمهيد لإمامة الجواد عليه السلام المبكّرة تمهيداً لإمامة من يليه من الأئمّة المعصومين في سنّ مبكرة، حيث إنّ كثيراً من الاستبعادات قد أُجيب عنها خلال التمهيد الّذي قام به الإمام الرض عليه السلام أوّلاً والجدارة الّتي أثبتها الإمام الجواد عليه السلام خلال سنوات إمامته القصيرة.

إذاً، لمّا كانت مشكلة البلوغ قد حُلّت بالنسبة للإمام الجواد عليه السلام فلم يحصل أدنى شكّ في إمامة الهادي عليه السلام بالنسبة لكبار شخصيّات الشيعة.

وقد ذكر الشيخ المفيد والنوبختيّ أنّ جميع شيعة الإمام الجواد عليه السلام دخلوا في طاعة الإمام الهادي عليه السلام إلّا أفراداً قلائل تبعوا لأمدٍ قصير موسى بن محمّد المعروف بالمبرقع المتوفّى في العام (٢٩٦هـ)

والمدفون في قمّ، ثمّ تركوا القول بإمامته بعد مدّة قصيرة واعتقدوا بإمامة الهادي عليه السلام[1] .

ويـرى سعد بن عبد الله الأشعريّ أنّ سبب مفارقتهم لموسى المبرقع والتحاقهم بالإمام الهادي عليه السلام هو أنّ موسى كذّبهم وتبرّأ منهم ومن الإمامة لنفسه[2].

إضافـة إلى ذلـك فـإنّ الإمـام الجواد عليه السلام حـين طُلب منه الحضـور إلى بغداد من قبـل المعتصم العبّاسـيّ فهـم مغزى هذا السفر وأدرك مدى خطورته، فبـادر إلى تعيين الإمام الهادي عليه السلام وصيّاً له[3]، وأصدر نصّاً مكتوباً بإمامة الهادي عليه السلام بحيث لم يبقَ هنـاك أيّ مجال للشكّ[4].

وقـد قضى الإمام الهادي عليه السلام اثنتـين وعشرين سنة من عمره المبارك في مدينة جدّه صلى الله عليه وآله وسلم. وحُمل علـى الهجـرة منها سنـة (٢٣٤هـ) بعـد أن كان قد ولد له الإمـام الحسن العسكـريّ عليه السلام في سنة (٢٣٢هـ).

وبهذا يكون الإمام الهادي عليه السلام قد قضى أربع عشرة سنة من سنيّ إمامته في المدينة، وعشرين سنة أخرى في (سرّ من رأى) مقرّ حكومة العبّاسيّين.

وقـد أدرك عليه السلام في حياة أبيـه ستّ سنوات من عهد المأمون وسنتين من حكم المعتصم، وعاصر بعد استشهاد أبيه، ـ خلال أربع وثلاثين سنة – وهي سنيّ إمامته – ستّة من الحكّام العبّاسيّين، وهم على الترتيب:

المعتصـم (دام حكمـه ١٠ سنوات) من سنـة ٢١٧هـ، والواثق (٥ سنـوات و٩ أشهر) من سنة٢٢٧هـ، والمتـوكّل (١٤ سنة) من سنة ٢٣٢هـ، والمنتصر (ستّة أشهـر) ٢٤٧هـ، والمستعين (حوالي ٤ سنوات) من سنة ٢٤٨هـ، والمعتّز تولّى الحكم من سنة ٢٥٢هـ، واستشهد الإمام عليه السلام في عهده سنة ٢٥٤هـ.

---

(١) الفصول المختارة من العيون والمحاسن، الشيخ المفيد: ٢٥٧، انظر مصنفات الشيخ المفيد، منشورات المؤتمر العالمي بمناسبة ذكرى ألفيّة الشيخ المفيد، قم، إيران، ١٤١٣هـ. وفرق الشيعة، م.س: ٩١ ـ ٩٢.

(٢) المقالات والفرق، ٩٩ انظر مصنفات الشيخ المفيد، م. س.

(٣) الكافي، م.س: ١/٣٢٣.

(٤) بحار الأنوار، م.س: ٥/١١٨ ـ ١٢٣.

الحالة السياسيّة في عصر الإمام الهادي عليه السلام

اتّسم عصر الإمام الهادي عليه السلام بانتشار الفوضى وفقدان الأمن، لأنّ السلطة العبّاسيّة كانت قد فقدت هيمنتها وقدرتها الّتي كانت تتمتّع بها أيّام الرشيد والمأمون.

ويعود ذلك إلى عدّة أسباب منها: تسلّط الأتراك على زمام الحكم حتّى لم يعد للخليفة أيّ نفوذ وسلطان، إذ كانوا هم الّذين يولّون من شاءوا ويعزلون من أرادوا في الخفاء فضلاً عن الوزراء وسائر أعمال الدولة[1].

ولم يكن للأتراك معرفة بشؤون الحكم والإدارة، ومن هنا ظهرت ألوان الفساد في الجهاز الحاكم بدءاً بانعدام المسؤوليّة إلى انتشار الرشوة، واختلاس أموال الأمّة بواسطة الوزراء والعمّال والقضاة وكتّاب الدواوين وغير ذلك من ألوان الفساد.

وكان الولاة يشترون وظائفهم من الوزراء. وجَهِد أغلبهم في ظلم الناس والاستبداد بهم وزجّوا الأبرياء في ظلمات السجون. من هنا كره المسلمون الحكم العبّاسيّ وتمنّوا زواله.

أمّا سياسة الحكّام فنذكر على سبيل المثال أنّ سياسة المأمون كانت تقوم على التمسّك بمذهب المعتزلة والدفاع عنهم، وهذا يعني فسح المجال تلقائيّاً أمام الشيعة والعلويّين. ولكنّ الأمور تغيّرت بمجيء المتوكّل إلى سدّة الحكم حيث ابتدأ بالتشدّد والضغط من جديد، وانتهج سياسة الدفاع عن آراء أهل الحديث وتحريضهم ضدّ المعتزلة والشيعة، وهو ما نجم عنه قمع هذين المذهبين بشدّة، وتعرّض العلويّون ولا سيّما في أيّام المتوكّل إلى الملاحقة والاعتقال والاضطهاد.

وأقدم المتوكّل على هدم قبر الإمام الحسين عليه السلام، إذ كان يتحرّق غيظاً ممّا يسمعه من تهافت الناس على زيارة هذا القبر الشريف. كما هدم كلّ بناء حول القبر وأجرى الماء عليه إلّا أنّ الماء دار حول القبر ولم يصل إليه، ومن ثمّ سُمّي المكان بالحائر. ومنع المتوكّل رسميّاً المسلمين من زيارة قبر ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسيّد شباب أهل الجنّة عليه السلام، وأنزل العقوبة بالزائرين والّتي تمثّلت في القتل والصلب وقطع الأيدي.

(١) راجع: تاريخ اليعقوبي، م. س: عهد المعتصم والمعتمد والمعتزّ.

نتج عن هذه الفوضى السياسيّة فوضى اقتصاديّة تمثّلت في النهب والسلب وعدم التوزيع الصحيح للثروة، فضلاً عن احتكار الأموال الطائلة، وانتشار البؤس والفقر بين الأكثريّة الساحقة من أبناء الأمّة إلى جانب البذخ والإسراف الّذي كان يطغى على سلوك الخلفاء.

وظاهرة بناء القصور في عهد المتوكّل ظاهرة ملفتة للنظر، حتّى أنّه قد بنى قصراً في سفينة. وقد أنفق الملايين على قصوره الّتي عرفت بالجعفريّ والبرج والمليح والمختار والشبندار، وبرك الماء الّتي كانت مسرحاً للّهو والعبث والسخرية بالناس، بدل صرف أوقاته وأموال المسلمين في خدمة الأمّة ومعالجة مشكلاتها.

لقد كانت معظم حياة هؤلاء الخلفاء حياة لهو ومجون، فقصورهم كانت مسرحاً لتعاطي المنكرات وشرب الخمور.

الإمام الهادي عليه السلام في سامرّاء

بعد الممارسات القاسية ضدّ الإمام عليه السلام في المدينة، أمر المتوكّل بجلبه إلى سامرّاء. وكان غرضه من ذلك مراقبة تحرّكات الشيعة وزياراتهم، وذلك في سنة (٢٤٣هـ) بعد أن كتب عبد الله بن محمّد الهاشميّ رسالة للمأمون يقول فيها: "إذا كانت لك في الحرمين حاجة فأخرج عليّ بن محمّد منها، فإنّه قد دعا الناس إلى نفسه، واتّبعه خلق كثير". ومن بعد هذا أنفذ المتوكّل يحيى بن هرثمة ليأتيه بالإمام عليه السلام إلى سامرّاء(٢). وذكر الشيخ المفيد أنّ الإمام عليه السلام أرسل كتاباً إلى المتوكّل فنّد فيه ما بلغه من أخبار عنه(٣)، فكتب المتوكّل إلى الإمام عليه السلام يخبره بأنّه قد عزل عبد الله بن محمّد ونصّب محمّد بن الفضل بدلاً عنه، وأنّه يقدّره ومستعدّ للبرّ به ومشتاق لرؤيته وإحداث العهد معه والنظر إليه.

ثمّ طلب المتوكّل من يحيى بن هرثمة أن يسير بثلاثمائة جنديّ ليأتيه بعليّ بن محمّد عليه ما السلام مكرّماً. وواضح أنّ المتوكّل إنّما فعل ذلك خشية حدوث حساسيّة سياسيّة في المجتمع.

وأقام عليه السلام في سامرّاء عشرين عاماً وعدّة أشهر إلى أن استشهد فيها. يقول الشيخ المفيد: "كان فيها الإمام مكرّماً في ظاهر حاله، يجتهد المتوكّل في إيقاع حيلة به فلا يتمكّن من ذلك"(٤).

---

(٢) بحار الأنوار، م.س: راجع الجزء الخمسين (عيون المعجزات).

(٣) الإرشاد، م.س: ٣٣٣.

(٤) م.ن: ٣٣٤.

خلاصة الدرس

- كانـت إمامة الإمام الهـادي عليه السلام المصداق الثاني لظاهرة الإمامة المبكـرة حيث تسلّم الإمامة وعمره حوالي الست سنوات.
- عاش الإمام عليه السلام اثنتين وعشرين سنة في مدينة جدّه صلى الله عليه وآله وسلم، وحُمل على هجرتها سنة (٢٣٤هـ) إلى سامرّاء وبقي فيها عشرين سنة إلى شهادته.
- اتّسـم عصر الإمام الهـادي عليه السلام بانتشار الفوضى وفقدان الأمن. وقـد أدرك حكم المأمون ثمّ المعتصم، والواثق والمتوكل، والمستنصر والمستعين واستشهد في زمن المعتزّ العبّاسيّ.

١٧

الدرس السابع عشر

الإمام الهادي عَلَيهِ السَّلَامُ والسلطة الحاكمة ٢

الدرس السابع عشر

الإمام الهادي عليه السلام والسلطة الحاكمة ٢

أهداف الدرس:

١. أن يتعرّف الطالب إلى الحالة السياسيّة المعاصرة للإمام الهادي ليه السلام.

٢. أن يتبيّن علاقة الإمام الهادي عليه السلام بالسلطة الحاكمة.

٣. أن يعدّد بعضاً من الثورات في زمن الإمام الهادي عليه السلام.

أمّا الأسباب الّتي دعت المتوكل لاستدعاء الإمام عليه السلام من المدينة فهي متعدّدة منها:

- وشاية بعض عمّال السلطة العبّاسيّة الّذين كانوا يرون الإمام عليه السلام منافساً لهم.
- وكذلك تكشف لنا الرسالة الّتي بعث بها المتوكل إلى الإمام عليه السلام والّتي يطلب فيها منه الحضور إلى سامرّاء أنّه كان يهدف إلى أمور إعلاميّة منها:
- التأثير في أهل المدينة محاولةً منه لتغيير انطباعهم، فإنّ الغالبيّة من أهل المدينة كانوا يعرفون المتوكّل ويعلمون عداءه لأهل البيت عليهم السلام وشيعتهم.
- إبداء الاحترام للإمام الهادي عليه السلام وأنّه على رأيه ويقدّره ويعزّه، لذا فقد أبدل والي المدينة بغيره، ومن ثمّ جعل له الحريّة في الشخوص إلى الخليفة كيف يشاء الإمام عليه السلام. وهذه أساليب تغري العامّة، فالإمام عليه السلام يدرك ما يهدف إليه المتوكّل من استدعائه.

سياسة المتوكّل مع الإمام الهادي عليه السلام

عُرف المتوكّل ببغضه لأمير المؤمنين عليه السلام بشكل خاصّ ولآل البيت عليه م السلام بشكل عامّ.

فضيّق على الإمام الهادي عليه السلام وأمر بإنزاله - لمّا أشخصه إلى سامراء قسراً - في خان الصعاليك للحطّ من شأنه والتقليل من أهمّيته أمامَ الرأي العام. وفرض عليه الإقامة الجبريّة، والحصار الاقتصاديّ. وفرض أقصى العقوبات على من يصل الإمام بالحقوق الشرعيّة أو سائر الهدايا، ومنع الناس من زيارته والتشرّف بخدمته، وأمر هذا الطاغية باعتقال الإمام عليه السلام وزجّه في السجن، فبقي عليه السلام أيّاماً.

ولمّـا ثقـل أمر الإمام عليه السلام على المتوكّل، وضـاق به ذرعاً حيث ساءه ما يتحدّث بـه النـاس عن فضله وسعـة علومـه، وزهده وتقواه، وذهاب الشيعـة إلى إمامته، وأنّه أحقّ بالخلافـة وأولى بها منه، حاول اغتياله والقضاء عليه ، إلّا أنّه باء بالفشل، ولم يصل إلى مرامه.

وهكذا فعل أركان السلطة الّذين حاولوا النيل من شخصيّة الإمام عليه السلام وكانوا يفتّشون بيته، ويجلبونه ليـلاً إلى المتـوكّل المغمى عليه من السكر والشراب بتهمة الإعداد للثـورة والمواجهة، كما كانوا يسعون لإيجاد زعيم بديل عنه، وكلّ تلك المحاولات باءت بالفشل.

والتجـأ الإمـام عليه السلام إلى الله تعالى، وانقطع إليه، ودعا على المتـوكّل بدعاء (المظلوم على الظالم)، وهـو مـن الكنوز المشرقة عند أهل البيت عليه م السلام. واستجاب الله تعالى دعاء وليّه فقصم ظهر عدوّه وانتقم منه كأشدّ ما يكون الانتقام، فلم يلبث المتوكّل بعد هذا الدعاء سوى ثلاثة أيّام حتّى أودى الله بحياته، وجعله أثراً بعد عين. ونعرض – بإيجاز – إلى كيفيّة هلاكه.

المؤامرة على المتوكّل وهلاكه

دُبّرت المؤامرة على المتوكّل للقضاء عليه بإحكام، وأحيطت بكثير من السرّ والكتمان. وكان من أعضاء هـذه المؤامرة ولده المنتصر– الّذي كان حاقداً علـى أبيه بسبب احتقاره وازدرائه له. وتنقل الروايات أنّ المنتصـر كان بعكس أبيه شديـد الميل لأمير المؤمنين عليه السلام – وكذلك "وصيف التركيّ" الّذي كان ذا منصب عالٍ في الدولة، و"بغا التركيّ" ونفّذ هؤلاء المؤامرة في غلس الليل البهيم.

تمثّلـت فصـول المؤامرة بغلـق أبواب القصر، وقتل الفتـح بن خاقان رئيس الوزراء، ثـمّ الإشاعة بين الجماهـير أنّ الفتح قام بانقلاب عسكريّ فاشل، وقد قتـل الخليفة المتوكل، وأنّ المنتصر أخمد ذلك الانقلاب، وقتل الفتح ثأراً لأبيه.. وبدأ التنفيذ للمخطّط بهجوم الأتراك على المتوكّل يتقدّمهم "باغر التركيّ"[1] وقد شهروا سيوفهم. وكان المتوكّل ثملاً سكران وذُعر الفتح بن خاقان فصاح بهم «ويلكم أمير المؤمنين» فلم يعتنوا به، ورمى بنفسه عليه ليكون كبش الفداء له إلّا أنّه لم يغن عن نفسه ولا عنه شيئاً، وأسرعوا إليهما، فقطّعوهما بسيوفهم إرباً إرباً، بحيث لم يعرف لحم أحدهما من الآخر، ودفنا معاً، وبذلك انطوت أيّام المتوكّل الّذي كان من أعدى الناس لأهل البيت عليهم السلام.

وتسلّـم المنتصـر الخلافة وسلك سياسة رشيـدة، وردّ فدك إلى العلويّين ورفـع الحَجْرَ عن أوقافهم،

---

(١) وهو غير "بغا التركي".

وسمح للناس بزيارة مرقد أمير المؤمنين عليه السلام ورفع الحَجْرَ عن زيارة الإمام الحسين عليه السلام [1].

ولكن ما لبث الأتراك أن تحايلوا عليه مع كونه مهيباً متحرّزاً، فدسّوا إلى طبيبه ابن طيفور ثلاثين ألف دينار لقتله، ففعلها الطبيب.

ومن بعده تسلّم الخلافة المستعين الّذي خلعه الأتراك بعد فترة، وبايعوا أخاه المعتزّ بدلاً عنه، وكان المعتزّ مستضعفاً من قبل الأتراك وألعوبة بأيديهم.

ويذكر المؤرّخون الموقف الاستبداديّ للمعتزّ ضدّ آل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم واضطهاد شيعتهم، ومن ذلك: قتله لجعفر بن محمّد الحسينيّ في واقعة حدثت بالريّ بينه وبين أحمد بن عيسى عامل محمّد بن طاهر [2]، وقتله لإبراهيم بن محمّد العلويّ، وقتله طاهر بن عبد الله في واقعة كانت بينه وبين الكوكبيّ بقزوين [3]، وهناك من مات في الحبس، مثل عيسى بن إسماعيل الجعفريّ وأحمد بن محمّد الحسينيّ [4].

الثورات في عصر الإمام الهادي عليه السلام

الثورات العلويّة كانت هاجس الحكّام ومثار مخاوفهم، ولذا وقف العبّاسيّون منها موقفاً صارماً، يحاولون إجهاضها قبل أن تستفحل وتشتدّ عليه م، ويطاردون فلولها لشرذمتها والتخلّص منها.

وأهمّ ما يميّز عصر الإمام الهادي عليه السلام هو ضعف الخلافة العبّاسيّة وسقوط هيبتها لاستيلاء الأتراك على العاصمة، والعمّال والأمراء على الأطراف. ونتيجة لذلك كان الخليفة مسلوب الإرادة يُحرَّك من قبل قوّاده الّذين كان بأيديهم زمام السلطة [5].

واتّسم الوضع بعدم الاستقرار وازدياد الاضطرابات وكثرة الخارجين على السلطة وكثرة الوثبات في الأمصار، فكان للخوارج نشاط ملحوظ قويّ ومدعّم بالمال والسلاح. كما نجد أنّ مجموعة من الأقاليم قد حدثت فيها انتفاضات ضدّ السلطة كما حصل في الأردنّ بقيادة رجل من لخم. وكانت

---

(١) الكامل في التاريخ، م.س: ٣٤٩/١٠.

(٢) مقاتل الطالبيّين، م.س: ٤٣٤.

(٣) م.ن.

(٤) م.ن.

(٥) الكامل في التاريخ، م.س: ٧٣/٦.

في حمص وثبة أخرى ضدّ عاملها كيدر الأشروبينيّ، وكذا وثبة الجند في سامرّاء فضلاً عن حدوث ثورات أخرى منها: ثورة يحيى بن عمر بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن أبي طالب عليه السلام. وقد انطلقت هذه الثورة من كربلاء باتّجاه الكوفة وكان شعارها الدعوة إلى "الرضا من آل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم"، وعُرف يحيى بحُسن السيرة وأظهر العدل حتّى قتل(٦).

أمّا موقف الإمام الهادي عليه السلام تجاهها وسواها من الأحداث فيمكن معرفته من حقيقة وجوهر مواقف الأئمّة الّذين تركوا العمل المسلّح والاصطدام المباشر لثوار علويّين، لتحريك ضمير الأمّة وإرادتها وتحصينها ضدّ الانحراف، وحاولوا بتضحياتهم المتتالية أن يحافظوا على الضمير الإسلاميّ والإرادة الإسلاميّة من الانهيار. والأئمّة عليه م السلام كانوا بدورهم يساندون المخلصين من الثائرين، إمّا بشكل مباشر أو من خلال تعاليمهم الّتي كانت تؤثّر في نفوس قواعدهم الموالية ممّا يؤدّي إلى إعلان العصيان المسلّح على الدولة.

ولأجل الدقّة والموضوعيّة في البحث لا نستطيع القول إنّ كلّ الثوّار العلويّين كانوا ثائرين على أساس الوعي الإسلاميّ في تطبيق أحكام الإسلام وتحت قيادة الإمام المعصوم عليه
السلام وإن كان الاعتقاد أنّ غرض أكثر الثوّار هو ذلك(٧).

الإمام الهادي عليه السلام والأتراك

إنّ الحديث عن موقف الإمام الهادي عليه السلام تجاه الأتراك يتّضح لنا من خلال نقطتين:

<u>الأولى:</u> كان للأتراك دور كبير ومؤثّر في الحياة العامّة يبدأ بالتأثير في السياسة المتّبعة وتغيير الخليفة وعزله وتنصيبه، إلى أبسط الأمور ذات العلاقة بسياسة الدولة والمجتمع.

<u>الثانية:</u> أنّ الأتراك لم يكونوا من موالي الإمام عليه السلام وشيعته بل إنّهم كانوا القوّة الضاربة للدولة ويدها وعقلها المدبّر. وكان الأتراك على قسمين: القوّاد والأمراء، وعامّة الجند. وكان بيدهم إعلان الحرب والسلم مع أيّ شخص في أطراف الدولة. وكانوا يخوضون الحرب في الجيش الممثّل للدولة، وهو المنتصر في الحرب غالباً. وبذلك يغنم الأتراك ومن يليهم أموالاً طائلة على حساب المظلومين المقهورين تحت وطأة الحروب.

---

(٦) مقاتل الطالبيّين، م.س: ٤٢٠.

(٧) تاريخ الغيبة الصغرى، السيّد محمّد الصدر: ٨٠٠.

ولم يكـن الإمام عليه السلام ليوافق على تصرّفاتهم الّتي لم تكن قائمة على شيء من تعاليم الدِّين والعدل الإسلاميّ، وبخاصّة أنّه يعلم موقفهم ضدّه وضدّ مواليه حتّى أنّ الخليفة كان يستخدمهم في الهجوم على دار الإمام وحبسه. ومن هنا ينبثق موقفه عليه السلام حيث كان موقفاً حكيماً جدّاً مراعياً فيه ظروفهم وموقعهم السياسيّ والاجتماعيّ.

إنّ جهـود الإمـام عليه السلام في هـذا الاتّجاه قد أثمـرت بعض الشـيء في تقريب بعضهم إليـه وإيمانهم بفضله، وربّما بإمامته. وكانت جهوده عليه السلام متواصلة في ذلك[1].

خلاصة الدرس

- تسلّـط الأتراك على السلطة العبّاسيّـة وأمسكوا بزمام الأمور، وكانوا يولّون من يشاؤون ويعزلون من أرادوا.
- أمـر المتوكّل العبّاسيّ بحمل الإمـام الهادي عليه السلام إلى سامرّاء لأجل مراقبـة تحرّكاته، ولوشاية بعض عمّاله الّذين كانوا يرون في الإمام منافساً لهم.
- اعتمـد المتـوكّل سياسة البغض لآل البيت عليهم السلام، والحطّ من شأن الإمام الهادي عليه السلام والتقليل من أهمّيته، والتضييق عليه، ووضعه في السجن.
- هلـك المتوكّل علـى يد ولده المنتصر الّذي حـاول انتهاج سياسة مغايرة لسياسـة أبيه، فردّ فدك للعلويّين.
- تسلّم المعتزّ العبّاسيّ الحكم من بعد المستعين ووقف موقفاً معادياً لآل البيت عليهم السلام.
- قامت الثورات العديدة في عصر الإمام الهادي عليه السلام في العديد من مناطق الخلافة.

(١) تاريخ الغيبة الصغرى، السيّد محمّد الصدر: ١٥٨ ـ ١٥٩، بتصرّف.

١٨

الدرس الثامن عشر

الإمام الهادي عليه السلام وتأصيل الفكر الدينيّ ١

الدرس الثامن عشر

الإمام الهادي عليه السلام وتأصيل الفكر الدينيّ ١

أهداف الدرس:

١. أن يتبيّن الطالب مواجهة الإمام الهادي عليه السلام للفرق الضالّة.

٢. أن يتبيّن دور الإمام الهادي عليه السلام في تأصيل الفكر الدينيّ.

الإمام الهادي عليه السلام وغلاة الشيعة

لم تكن المشاكل الداخليّة الّتي واجهها الشيعة بأقلّ من المشاكل الّتي كانت تضغط من خارج المجتمع الشيعيّ، خاصّة وأنّ المشاكل الداخليّة نفسها كان لها أكبر الأثر في إيجاد المشاكل الخارجيّة. لذا فقد بذل أئمّة الشيعة جهوداً مضنية في سبيل تنقية الفكر الشيعيّ من انحراف الغلاة، وتنحية المغالين عن مذهب الحقّ. إلّا أنّ الغلاة كانوا ينسبون أنفسهم للأئمّة لدوافع انتهازيّة ونفعيّة، أو بسبب تفكيرهم الخاطىء، بل وكانوا يتصوّرون تصدّي الأئمّة لهم نوعاً من التقيّة.

وأمّا في المناطق البعيدة فلولا وجود العلوم الشيعيّة والفقه الشيعيّ لانخدع الكثير منهم بادّعاءات الغلاة، ولكان لذلك تأثيره الكبير في تشويه سمعة الشيعة في أذهان الفرق الأخرى.

واصطدم الإمام الهادي عليه السلام – كما هو الحال بالنسبة لسائر الأئمّة عليهم السلام – بالغلاة، وكان من بين أصحابه من يدّعي نفس ذلك الادّعاء.

فقد كان أحمد بن عيسى من علماء الشيعة المعتدلين، وكان شديد التمسّك بالأئمّة عليهم السلام، ويعارض أي نوع من الغلوّ، وكتب مرّة إلى الإمام عليه السلام يسأله عن معتقدات وأفكار تُنسب إليه، وهي ممّا تشمئز منه النفوس، وفي رسالته يقول للإمام عليه السلام: (... ولا يجوز لنا ردّها إذا كانوا يروون عن آبائك عليهم السلام ولا قبولها لما فيها).

فكتب عليه السلام: «ليس هذا ديننا فاعتزله»[1].

---

(١) رجال الكشي، م. س: ٥١٨-٥١٩.

وللإمام عليه السلام ردود كتبها ردّاً على معتقدات الغلاة من أمثال عليّ بن حسكة. وبعض الأحيان كان يَرِدُ اللعن منه عليه السلام عليهم. وأعلن عليه السلام في كتاب آخر غضبه على ابن بابا القمّيّ وقال: "لقد ظنّ أنّي بعثته نبيّاً وأنّه بابي". وقال عنه أيضاً: "إذا قدرتم عليه فاقتلوه"[٢]. وقد ادّعى محمّد بن نصير النمير النبوّة – وهو رئيس فرقة النميرة أو النصيريّة[٣] – وأشاع أنه قد أُرسل نبيّاً من جانب الإمام الهادي عليه السلام.

ومن أصحاب الإمام الهادي عليه السلام الّذين تحوّلوا إلى غلاة أحمد بن محمّد السياريّ الّذي حكم أغلب من كتب في رجال الشيعة بغلوّه واعتبروه فاسد المذهب، فهو قد ألّف كتاب «القراءات» الذي يضمّ الكثير من الروايات الّتي تقول بتحريف القرآن.

ومن المؤكّد أنّ مثل هذا الكتاب لا يحوي سوى أقاويل باطلة.

الإمام الهادي عليه السلام وأصالة القرآن

من الانحرافات الّتي أشاعها غلاة الشيعة وأساؤوا فيها إلى سمعة هذا المذهب على مرّ التاريخ قضيّة تحريف القرآن، وهي القضيّة الّتي تمسّ أهل السنّة أيضاً، نظراً لاحتواء كتبهم على بعض الأحاديث الدالّة على تحريف القرآن.

وفي نفس الوقت لم يكن بين أهل السنّة ولا بين الشيعة الإماميّة من يعتقد بتحريف القرآن، بل كانوا على العكس من ذلك يعارضون هذا الأمر بشدّة. ومع ذلك فإنّ الّذي يظهر في كتاب (الانتصار) للخيّاط المعتزليّ شيوع نسبة تهمة تحريف القرآن إلى الشيعة على الألسن. وكان أئمّة الشيعة عليهم السلام إزاء مثل هذه الاتّهامات الباطلة يعطون الأصالة للقرآن دوماً في مقابل الروايات، ويعتبرون كلّ حديث مخالف للقرآن باطلاً. كما كان الكثير من أهل السنّة يعتقد بنفس هذا المبدأ أيضاً. فقد نقل ابن شعبة الحرّانيّ صاحب كتاب (تحف العقول) رسالة مستفيضة عن الإمام الهادي عليه السلام يؤكّد فيها بشدّة على أصالة القرآن، وكونه المعيار لقياس صحة الروايات، إضافة إلى اعتبار القرآن النصّ الوحيد الّذي تتّفق جميع الفرق والمذاهب على الاعتقاد به.

---

(٢) م.ن: ٥١٨ ـ ٥١٩.

(٣) فرقة النصيريّة من فرق غلاة الشيعة، وهم يعرفون الآن باسم (العلويّة) و(النصيريّة).

وقد قسّم الإمام عليه السلام أوّلاً الأخبار إلى صنفين:

الأوّل: الأخبار الصحيحة الّتي يلزم اتّباعها والإقرار بها.

الثاني: الأخبار المنافية للحقّ والّتي يلزم اجتنابها وعدم قبولها.

ثمّ أشار عليه السلام إلى إجماع الأمّة على أنّ القرآن حقّ وأنّه لا تشكّ فيه فرقة. ثمّ قال: فإذا وافق القرآن خبراً فلم تقبله جماعة فالحقّ قبوله والإقرار به، فإنّ الكلّ مجمعون على صحّة القرآن، ثمّ مثّل لذلك بخبر الثقلين...[١]

موقف الإمام الهادي عليه السلام من فتنة خلق القرآن

إنّ من أهمّ القضايا الّتي تعرّض لها العالم السُنّيّ في بداية القرن الثالث الهجريّ، وأدّت به إلى التشتّت والفرقة قضيّة الصراع على مسألة خلق القرآن أو قدمه. وهذه المسألة أشاعها أحمد بن أبي داوود، وتبعه على ذلك المأمون الّذي عمّت الأمّة فتنة كبرى في زمانه، وتبعه المعتصم والواثق بامتحان الناس بخلق القرآن. وكأنّ هذه المسألة مسألة يتوقّف عليها مصير الأمّة الإسلاميّة. وسعى هؤلاء الحكّام إلى إكراه جميع العلماء والمحدّثين على الاعتقاد بخلق القرآن، وسمّيت هذه القضيّة تاريخيّاً باسم محنة القرآن.

وكان أحمد بن حنبل على رأس أهل الحديث الّذي يعتقدون بعدم خلق القرآن، وتعرّض إثر ذلك للكثير من الضغط من جانب الحكومة العبّاسيّة.

وفي نفس الوقت لمّا جاء المتوكّل من بعد المعتصم عاضد ابن حنبل وتآزرا على إنهاء القضيّة لصالح مذهب ابن حنبل.

ولقد دخلت جميع المذاهب والفرق في ذلك المعترك، وأظهر كلّ واحد منها وجهة نظره الخاصّة في هذا الموضوع. لكنّ روايات أهل البيت عليهم السلام وآراء أصحاب الأئمّة لم تبحث في هذه القضيّة بل التزموا الصمت إزاءها.

وقد بيّن الإمام الهادي عليه السلام الرأي السديد في هذه المناورة السياسيّة الّتي ابتدعتها السلطة، فقد روي عنه أنّه كتب إلى بعض شيعته ببغداد:

---

(١) تحف العقول، م.س: ٣٣٨-٣٥٦.

"بسم الله الرحمن الرحيم، عصمنا الله وإيّاك من الفتنة، فإن يفعل فأعظم بها نعمة وإلّا يفعل فهي الهلكة. نحن نرى أنّ الجدال في القرآن بدعة اشترك فيها السائل والمجيب، فتعاطى السائل ما ليس له وتكلّف المجيب ما ليس عليه، وليس الخالق إلّا الله وما سواه مخلوق، والقرآن كلام الله، لا تجعل له اسماً من عندك فتكون من الضالين. جعلنا الله وإيّاك من الّذين يخشون ربّهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون"(٢).

وفي رواية عن الإمام الباقر عليه السلام يقول: «لا خالق ولا مخلوق، ولكنّه كلام الخالق»(٣).

ومن الطبيعيّ أنّ مثل هذا الكتاب، وما شابهه من مواقف، أدّى إلى عدم تورّط الشيعة في هذه المحنة الّتي لا نهاية لها.

ثقافة الزيارة في تراث الإمام الهادي عليه السلام

إنّ تركيز أسس الإمامة والولاية وتقويض دعائم الظلم والاستبداد يفرض الالتفات إلى أمر هامّ هو أنّ المذهب الشيعيّ غنيّ بثقافة الزيارة. وأمّا سائر الفرق الإسلاميّة فهي لا تمتلك ما يمتكله الشيعة من هذا التراث الغنيّ، وهكذا الحال بالنسبة إلى الأدعية المرويّة عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام.

وتعدّ ظاهرة الزيارة للأئمّة عليهم السلام إحدى وسائل الإمام الهادي عليه السلام في إيصال المفاهيم الفكريّة والروحيّة لشيعته ومواليه من أجل تركيز هذه المفاهيم السليمة وتنمية الجانب الروحيّ والفكريّ لأصحابه. وهذه الوسيلة لا تُثير الشكّ والريب مع سهولتها في الانتشار وظهور أثرها في الأمّة.

وما ورد عن الإمام الهادي عليه السلام، وحفظه لنا التاريخ من الوثائق المهمّة في هذا المضمار ما يلي:

١. الزيارة الجامعة.

٢. زيارة أمير المؤمنين عليه السلام في يوم الغدير.

٣. زيارات متعدّدة للأئمّة عليهم السلام.

---

(٢) أمالي الصدوق، م.س: ٤٨٩/١، وهناك نصّ يشير إلى موقف الأئمّة عليهم السلام من هذه المسألة، قال أبو هاشم الجعفري: خطر ببالي أنّ القرآن مخلوقٌ أم غير مخلوق، فقال أبو محمّد عليه السلام: "يا أبا هاشم: الله خالقُ كلِّ شيء، وما سواه مخلوق" المناقب: ٤٦٧/٢.

(٣) بحار الأنوار، م. س: ١٢١/٨٩.

ونحــاول هنا إلقاء الضوء على دلالات ومضامين الزيــارة الجامعة ليتّضح من خلال ذلك أهميّة هذا الأسلوب في التربية.

تأمّلات في الزيارة الجامعة

هــي من أشهر زيارات الأئمّة الطاهريــن عليهم السلام وأعلاها شأناً، وأكثرها ذيوعاً وانتشاراً، فقد أقبل أتباع أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم على حفظها وزيارة الأئمّة بها خصوصاً في يوم الجمعة.

أمّا سند الزيارة الجامعة فقد حاز درجة عالية من الصحّة، حيث رواها الشيخ الطوسيّ في (التهذيب)، ورئيس المحدّثين الصدوق في (الفقيه) و(العيون) وغيرهما، وقال العلّامة المجلسيّ: إنّ هذه الزيارة من أصحّ الزيارات سنداً، وأعمقها مورداً، وأفصحها لفظاً وأبلغها معنى، وأعلاها شأناً[1].

وقــد روى هــذه الزيارة محمّد بن إسماعيل البرمكيّ عن موسى بن عبــد الله النخعيّ عن الإمام عليّ الهادي عليه السلام، وهي تفيض بالأدب الرائع، وبجواهر الفصاحة والبلاغة، وجمال التعبير ودقّة المعاني، الأمر الّذي يدلّل على صدورها عن الإمام عليه السلام.

واهتــمّ العلماء اهتماماً بالغاً بشــرح الزيارة الجامعة لما فيها من المطالــب العالية، والأسرار المنيعة، والأمور البديعة.

محتوياتها: الدعوة إلى التشيّع والاتّباع الكامل لأهل البيت عليهم السلام.

تعتبر زيارة الجامعة الكبرى من النتاجات المهمّة للإمام الهادي عليه السلام، ومن الوثائق الّتي نستلُّ منها ملامــح التصوّر السليم للفكر الدينــيّ، وفي استعراضنا للزيارة وتركيزنا علــى الأفكار الأساس فيها تنجلي لنا المنهجيّة الحركيّة والفكريّة.

---

(١) راجع: بحار الأنوار، م. س: كتاب المزار.

خلاصة الدرس

- اصطدم الإمام الهادي عليه السلام بالغلاة. وكان من بين أصحابه من يدّعي هذه الادّعاءات وكان يصدر عنه اللعن تجاههم، والبراءة منهم.
- من الانحرافات الفكريّة الّتي شاعت في عصر الإمام عليه السلام وأساءت إلى المذهب الإماميّ اتّهامهم بالقول بانحراف القرآن الكريم. وقد تصدّى الإمام الهادي عليه السلام لهذه التهمة بحزم شديد.
- من المسائل الّتي عصفت بالأمّة الإسلاميّة قضية "خلق القرآن" حيث اختلفت الأمّة اختلافاً شديداً فيها. وكان موقف الإمام عليه السلام هو الحياد. وبهذا أمر أصحابه. وكان أحمد بن حنبل على رأس أهل الحديث الّذين يعتقدون بعدم خلق القرآن وتعرّض للتنكيل بسبب رأيه إلى أن جاء المتوكّل وعاضده في هذا الرأي.
- من الثقافات الّتي أرسى جذورها الإمام الهادي عليه السلام ثقافة الزيارة. ونُقل عنه العديد من الزيارات والّتي كان من أهمها الزيارة الجامعة الّتي حازت على درجة عالية من الصحّة، وزيارة أمير المؤمنين عليه السلام في يوم الغدير، وزيارات متعدّدة للأئمّة عليهم السلام.

١٩

الدرس التاسع عشر

الإمام الهادي عليه السلام وتأصيل الفكر الدينيّ ٢

الدرس التاسع عشر

الإمام الهادي عليه السلام وتأصيل الفكر الدينيّ ٢

أهداف الدرس:

١. أن يتبيّن دور الإمام الهادي عليه السلام في تأصيل الفكر الدينيّ.

أمّا أبرز مضامين الزيارة الجامعة فهي:

١. اصطفاء أهل البيت عليهم السلام

ففي قوله عليه السلام: «السلام عليكم يا أهل بيت النبوّة، وموضع الرسالة ومختلف الملائكة ومهبط الوحي...» يلفت الإمام عليه السلام الأنظار إلى ما يلي:

أ- أنّ الله اختصّ أهل البيت عليهم السلام بكرامته فجعلهم موضع الرسالة ومختلف الملائكة.

ب- أنّ هذا الجعل الإلهيّ نابع من الصفات الكماليّة الّتي يبلغون القِمّة فيها كالعلم والحلم والكرم والرحمة.

ج- كون أهل البيت موضع الرسالة إنّما هو لاختيار الله لهم ونتيجة لتكاملهم وتعيينهم كأمناء لمنصب القيادة العليا للبشريّة، فهم دعائم الأخيار وساسة العباد وأركان البلاد.

٢. حركة أهل البيت عليهم السلام

من الأمور المستفادة من الزيارة الجامعة أنّ المسيرة البشريّة تنقسم دائماً إلى خطّين هما: خطّ الهدى، وخطّ الضلالة، بقيادة أئمّة الهدى وأئمّة الضلالة. وأئمّة أهل البيت عليهم السلام هم أئمّة الهدى. أمّا غيرهم ممّن تصدّى للإمامة ويخالفهم في خطّهم ونهجهم فهو من أئمّة الضلال. فلذلك لا يكون التلقّي إلّا منهم ولا يكون نهج التحرّك إلّا نهجهم، لذا يقول عليه السلام: «السلام على أئمّة الهدى ومصابيح الدجى وأعلام التقى وذوي النهى...».

فالأئمّة هم: «ذوو الحجى، وكهف الورى، وورثة الأنبياء، والمثل الأعلى...».

ومن خلال هذه المقاطع يشير الإمام عليه السلام إلى أنّ حركة أهل البيت عليهم السلام حركة أصيلة ذات عمق في المسيرة النبويّة الراشدة. وكلّ حركة تدّعي المنهج الدينيّ أو الإصلاح الدنيويّ ولا تسير على خطاهم

فهي منحرفة لأنّ أهل البيت عليهم السلام محلّ معرفة الله ومساكن بركته ومعادن حكمته وحفظة سرّه وحملة كتابه وأوصياء أنبيائه.

٣. الأسس الفكريّة للتشيّع

يحدّد الإمام الهادي عليه السلام الأسس الفكريّة الّتي تقوم عليها دعوة أهل البيت عليهم السلام والّتي يجب أن تسير الحركة الشيعية عليها وتلتزم حدودها من خلال قوله: «السلام على الأئمّة الدعاة، والقادة الهداة، والسادة الولاة، والذادة الحُماة، وأهل الذكر، وأولي الأمر، وبقيّة الله وخيرته، وحزبه وعيبة علمه، وحجّته على صراطه، ونوره وبرهانه، ورحمة الله وبركاته».

ومن المفاهيم الّتي أكّدت عليها الزيارة:

١. الإيمان بإيابهم (إشارة لأهل البيت) وقيام دولتهم.
٢. أهميّة زيارة قبورهم.
٣. أهميّة الإيمان بسرّهم وعلانتيهم.
٤. أهميّة الاستعداد لنصرة دولتهم لحدّ التمكين في الأرض.
٥. أهميّة البراءة من عدوّهم.
٦. أهميّة الإيمان بالرجعة.
٧. فرح المؤمن بما رزقه الله على يد أهل البيت واعتقاده لهذا المعنى.
٨. وحدة المسلمين السليمة لا تتمّ إلّا تحت لوائهم عليهم السلام.
٩. الإيمان بهم لا يكون عاطفياً بل يكون عن وعي وإدراك وبحث وتمحيص.

الإمام الهادي عليه السلام والتمهيد لظهور المهديّ عليه السلام

تمثّل هذا الأمر بقيام الإمام الهادي عليه السلام ومن بعده ولده الإمام العسكريّ عليه السلام بالحدّ من الاتّصال المباشر بالشيعة، والاحتجاب عن اللقاء بهم شيئاً فشيئاً لتمهيد الأرضيّة اللازمة لغيبة الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف . هذه الحقيقة تتّضح بجلاء من ثنايا كلمات المؤرّخ المسعوديّ في "إثبات الوصيّة" حيث يقول: "إنّ أبا الحسن الهادي صاحب العسكر احتجب عن كثير من الشيعة إلّا عن عدد يسير من خواصّه، فلّما أفضى الأمر إلى أبي محمّد عليه السلام، كان يكلّم شيعته الخواصّ وغيرهم من وراء الستر إلّا في

الأوقات الّتي يركب فيها إلى دار السلطان"[١].

فهذان الإمامان ؤ ظلّا محتجبين عن الشيعة قسراً أو طوعاً؛ نظراً لتعرّضهما لمراقبة شديدة في سرّ من رأى، ولقرب عصريهما من عصر الغيبة. وقد اقتصر اتصالهما بالشيعة على طريق المكاتبات والتوقيعات والوكلاء، الأمر الّذي يفسّر لنا كثرة المكاتبات، قال أحمد بن إسحاق القميّ: "دخلت على أبي محمّد عليه السلام فسألته أن يكتب لأنظر إلى خطّه فأعرفه إذا ورد"[٢].

من هنا كانت جماعة من الشيعة تغتنم الفرصة وتلتقي بالإمام عليه السلام عند مسيره إلى دار الخلافة كلّ أسبوع. ومن جملة ما قام به الإمام الهادي عليه السلام وكذلك الإمام العسكريّ عليه السلام في تلك المرحلة لتمهيد الأرضيّة الفكريّة المناسبة للشيعة للدخول في عصر الغيبة إصدار الأحاديث العديدة بشأن الغيبة وولادة الإمام الحجّة عجل الله تعالى فرجه الشريف ، وإرجاع الشيعة إلى الوكلاء، وتأييد بعض الكتب الفقهيّة والروائيّة. وبهذه الصورة مهّدوا الأرضيّة لتحمّل ظروف وشرائط ما بعد الغيبة، والاتّصال غير المباشر بالإمام عليه السلام. وهذا الأسلوب ذاته قد اتّبعه الإمام الثاني عشر – كما يتّضح لنا لاحقاً – في زمن الغيبة الصغرى ليهيّئ الشيعة لعصر الغيبة الكبرى بالتدريج. ومن هنا تميّزت النصوص الواردة عن الإمام الهادي عليه السلام في ذلك الظرف العصيب والّتي جاءت لتؤكّد الإمامة من بعده لولده الحسن العسكريّ عليه السلام ، منعاً من محاولات السلطة لجعلها في ولده محمّد المعروف بأبي جعفر، وكذلك لحفيده المهديّ عجل الله تعالى فرجه الشريف .

ويمكن لنا تصنيف النصوص الّتي وصلتنا عن الإمام الهادي عليه السلام من الناحية التاريخيّة حول الإمام من بعده إلى عدّة طوائف:

١. النصوص الّتي صدرت قبل وفاة ابنه محمّد المعروف بأبي جعفر، والّتي تضمّنت نفي الإمامة عنه، والنصّ على إمامة ولده الحسن عليه السلام ، والوصيّة له بالصلاة عليه.

٢. النصوص الّتي صدرت حين وفاة ابنه محمّد، والّتي تشير إلى وفاته قبيل استشهاد الإمام الهادي عليه السلام بقليل (قبل سنة أو سنتين).

(١) إثبات الوصية، م.س: ٢٣١.

(٢) المناقب، م.س: ٣/٥٣٣.

٣. النصوص الّتي صدرت بعد وفاة أبي جعفر والّتي ليس فيها دلالة على إمامته.

٤. النصوص الّتي صدرت قبيل استشهاد الإمام الهادي عليه السلام، والّتي فيها ينصّ الإمام عليه السلام على الوصيّة بالإمامة لولده العسكريّ عليه السلام.

خلاصة الدرس

- من الثقافات الّتي أرسى جذورها الإمام الهادي عليه السلام ثقافة الزيارة. ونُقل عنه العديد من الزيارات والّتي كان من أهمها الزيارة الجامعة الّتي حازت على درجة عالية من الصحّة.
- انطوت الزيارة الجامعة على مفاهيم عالية مثل: اصطفاء أهل البيت عليهم السلام وحركتهم، والأسس الفكريّة للتشيّع.
- من الأدوار المهمّة الّتي قام بها الإمام عليه السلام مسألة التمهيد لظهور الإمام المهديّ عجل الله تعالى فرجه الشريف .

٢٠

الدرس العشرون

الإمام العسكريّ عليه السلام والتمهيد لإمامة المهديّ عجل الله تعالى فرجه الشريف ١

الدرس العشرون

الإمام العسكريّ عليه السلام والتمهيد لإمامة المهديّ عجل الله تعالى فرجه الشريف ١

أهداف الدرس:

١. أن يتبيّن الطالب إمامة الحسن العسكريّ عليه السلام وظروفها السياسيّة.

٢. أن يطّلع على بعض الثورات الّتي ظهرت في أيّامه.

٣. أن يستذكر طرق تمهيد الإمام عليه السلام لغيبة الإمام المهديّ وإمامته عجل الله تعالى فرجه الشريف .

إمامة الحسن العسكريّ عليه السلام وظروفها السياسيّة

تميّزت فترة إمامة الحسن العسكريّ عليه السلام بالأهميّة القصوى لأنّ مهمّتها كانت التمهيد لإمامة الإمام المهديّ عجل الله تعالى فرجه الشريف والنصّ على إمامته وتعريف الشيعة به والتمهيد لغيبته وربط الوكلاء به والتنسيق لاستمرار الارتباط الصحيح به، بحيث لا تنهار كلّ الأواصر الّتي أوجدها الأئمّة الأطهار مع شيعتهم، ولا يتفتّت الكيان الّذي أسّسوه على مدى قرنين ونصف من النشاط المباشر في تربية أتباعهم وضرورة الانتقال بهم من الارتباط المباشر إلى الارتباط غير المباشر، مع المحافظة على استقلال الكيان الشيعيّ في الوسط غير الشيعيّ الّذي يهدّد وجودهم...

كلّ هذه النقاط تشير إلى دقّة وحراجة الظرف الّذي كان يعيشه الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام، حيث كان عليه أن يقوم بكلّ التمهيدات اللّازمة خلال هذه الفترة القصيرة من مدّة إمامته والّتي لم تتجاوز الستّ سنوات، عاش خلالها الإمام عليه السلام ظروفاً حرجة لقيام العبّاسيّين بمراقبة تحرّكات المعصومين عن كثب ومحاولتهم السيطرة على كلّ نشاطاتهم وهم يتوقّعون كسائر المسلمين ولادة المهديّ المنتظر من نسل الحسين بن عليّ ؤ.

من هنا ينبغي الوقوف بدقّة على كلّ الإجراءات الّتي قام بها الإمام الهادي عليه السلام لإعلان وتثبيت إمامة ابنه الحسن العسكريّ عليه السلام خلال فترة إمامته الّتي دامت ٣٤ سنة والّتي رافقها مثلَ نجله

محمّد المعروف بالفضل وجلالة القدر، ووجود الأرضيّة للانشقاق داخل الخطّ الشيعيّ كما حدث ذلك في حياة الإمام الصادق عليه السلام بالنسبة لابنه إسماعيل.

وقد عاصر الإمام العسكريّ عليه السلام أعواماً عصيبة من الخلافة العبّاسيّة مع سلاطين مستبدّين توالوا على عرش الدولة منذ أن قدم سامرّاء مع أبيه الإمام الهادي عليه السلام أيّام المتوكّل عام (٢٤٣هـ).

وأهمّ ظواهر هذا العصر، النفوذُ الّذي تمتّع به الأتراك الّذين غلبوا الخلفاء في سلب زمام إدارة الدولة، وما اتّصفوا به من سلوك شائن في التعامل مع الأهالي، وقد اضطرّ سابقاً المعتصم لنقل عاصمة الخلافة من بغداد إلى سامرّاء بسبب سلوك الأتراك السيّئ وشكاية أهالي بغداد منهم، فضلاً عن قدرة الأتراك الّتي تمثّلت في خلع وتعيين الخلفاء[1].

ويمكن إجمال أهم مظاهر الحياة السياسيّة لذلك العصر الّذي عاشه الإمام العسكري عليه السلام بما يلي:

١. تدهور الوضع السياسيّ للدولة العبّاسيّة حيث تمّ استيلاء الموالي والّذين كان أغلبهم من الأتراك، وسيطرتهم على مقاليد السلطة في العاصمة والأمصار.
٢. اللّهو والمجون وحياة الترف الّتي كان يحياها الخليفة وأتباعه.
٣. حوادث الشغب والفتن الّتي حدثت في بغداد.
٤. الحركات الانفصاليّة في أطراف الدولة والّتي يعود سببها إلى ضعف سلطان الخليفة، وكثرة حوادث الخروج على الدولة. وقد أطلق المؤرّخون على هذا العصر عصر (إمرة الأمراء)[2]، ثمّ عصر الدول المستقلّة كما هو الحال بالنسبة لإمارة الحمدانيّين والبويهيّين والدولة الصفارية (٢٥٤هـ) والدولة السامانية (٢٦١ - ٣٨٩هـ) وغيرها.. ممّا أدّى إلى تفكّك وسقوط الدولة العبّاسيّة سنة (٦٥٦هـ).

الإمام العسكريّ عليه السلام وحكّام عصره

عاصر الإمام العسكريّ عليه السلام ثلاثة من خلفاء الدولة العبّاسيّة هم: المعتزّ - المهتدي - المعتمد.

(١) الكامل في التاريخ، م.س: ٣٠١/٤.

(٢) تأريخ الإسلام السياسي، د. حسن إبراهيم: ٢٦/٣ وما بعدها.

• أمّا المعتزّ فقد كان مسلوب السلطة ضعيف الإرادة أمام الأتراك، ويتّضح ذلك ممّا رواه ابن طباطبا حيث قال: "ولمّا جلس المعتزّ على سرير الخلافة حضر خواصّه وأحضروا المنجّمين وقالوا لهم: انظروا كم يعيش وكم يبقى في الخلافة، وكان بالمجلس بعض الظرفاء فقال: أنا أَعرف من هؤلاء بمقدار عمره وخلافته، فقالوا: فكم تقول إنّه يعيش وكم يملك؟ قال: مهما أراد الأتراك. فلم يبق أحد إلّا ضحك"(1).

والمعتزّ هو قاتل الإمام الهادي عليه السلام. وكانت سياسته امتداداً لسياسة المتوكّل في محاربة أئمّة أهل البيت عليهم السلام والشيعة. وقد خلعه الأتراك عن الحكم وقتلوه لأنّه منعهم أرزاقهم.

• أمّا المهتدي العبّاسي، فقد ولي الخلافة بعد مقتل أخيه المعتزّ سنة (255هـ)، وتصنّع الزهد والتقشّف محتذياً سيرة عمر بن عبد العزيز، في محاولة منه لإغراء الناس وتغيير انطباعهم عن الخلفاء العبّاسيّين، ولإبعاد الأنظار عمّا تحلّى به بنو هاشم وفي مقدّمتهم الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام، الّذي عُرف بتقواه وورعه ومواساته للأمّة في ظروفها القاسية. والشاهد على ذلك أنّ الظروف المحيطة بالإمام العسكريّ عليه السلام وأصحابه في عهد المهتدي لم تكن أحسن ممّا كانت عليه من الشدّة والنفي والتهجير والقتل إبّان عهدَي المعتزّ والمتوكّل ومن سبقهما من خلفاء الدولة العبّاسيّة.

• ثمّ عاصر الإمام عليه السلام المعتمد العبّاسيّ، الّذي انهمك في اللّهو والملذّات واشتغل عن الرعية فكرهه الناس بشدّة.

وكان المعتمد ضعيفاً قد وقع أيضاً تحت تأثير الأتراك وفي عصره وقعت أحداث مهمّة، منها:

1. **ثورة الزنج:** بدأت في البصرة وامتدت إلى الأهواز وعبادان وغيرهما، وصحبها قتل ونهب، وسلب، وإحراق ممّا أدّى إلى اضطراب الأوضاع الاقتصاديّة والاجتماعيّة. وتمكّنت السلطة من القضاء على الثورة بعد أن كلّفها ذلك الكثير من الأموال والجند. وقد ادّعى صاحب الزنج عليّ بن محمّد أنه ينتسب إلى الإمام عليّ عليه السلام، ولكنّ الإمام العسكريّ عليه السلام كذّب هذا الادّعاء، وقال: «صاحب الزنج ليس منّا أهل البيت»(2).

---

(1) الفخري في الآداب السلطانيّة، ابن طباطبا: 221.

(2) كشف الغمّة، م.س: 2/424.

٢. حركة ابن الصوفيّ العلويّ: وقد ظهر في صعيد مصر إبراهيم بن محمّد، من ولد عمر بن عليّ بن أبي طالب، ويعرف بابن الصوفيّ. وجرت معارك بينه وبين جيش الدولة بقيادة ابن طولون، اقتتلوا فيها قتالاً شديداً فقتل من رجال ابن الصوفيّ الكثير وانهزم، ثمّ كانت وقعة أخرى مع جنده عام (٢٥٩هـ) وانهزم ابن الصوفيّ أيضاً إلى المدينة وأُلقي القبض عليه وأُرسل إلى ابن طولون في مصر[٣].

٣. ثورة عليّ بن زيد في الكوفة: كانت حركته في الكوفة سنة (٢٥٦هـ) واستولى عليها وأزال عنها نائب الخليفة، واستقرّ بها. وسيّر إليه المعتمد الشاه بن مكيال في جيش كثيف فالتقوا واقتتلوا وانهزم الشاه وقتل جماعة كثيرة من أصحابه ثمّ وجّه المعتمد كيجور التركيّ لمحاربته. وقد أرسل كيجور إلى عليّ بن زيد يدعوه إلى الطاعة وبذل له الأمان وطلب عليّ بن زيد أموراً لم يجبه كيجور إليها، فخرج عليّ بن زيد من الكوفة وعسكر في القادسية فبلغ خبره كيجور فاشتبكا وانهزم عليّ بن زيد وقُتل جماعة من أصحابه[٤].

إلى غير ذلك من الأحداث المهمّة الّتي وقعت آنذاك.

خلاصة الدرس

- إمامة الإمام العسكريّ عليه السلام كانت التمهيد الأساس لولادة وإمامة الإمام المهديّ عجل الله فرجه.
- قام الإمام العسكريّ عليه السلام بتعريف الشيعة بالإمام المهديّ عجل الله فرجه، وغيبته، وربط الوكلاء به.
- عاصر الإمام عليه السلام أعواماً عصيبة من الخلافة العبّاسيّة مع سلاطين مستبدّين، تولّوا حكم الدولة منذ أن قدِم إلى سامرّاء مع أبيه الهادي عليه السلام.
- من مميّزات عصر الإمام عليه السلام استيلاء الأتراك على الحكم وتدهور الوضع السياسيّ للدولة العبّاسيّة، وسيطرة حياة اللّهو والترف، وكثرة حوادث الشغب والفتن، والحركات الانفصالية.
- حصلت في عهد الإمام عليه السلام ثورات عديدة منها: ثورة الزنج، وحركة ابن الصوفيّ العلويّ، وثورة عليّ بن زيد في الكوفة.

---

(٣) الكامل في التاريخ، م.س: ٤/٤٣٢ ـ ٤٣٣.

(٤) م.ن: ٤/٤٤٧.

٢١

الدرس الحادي والعشرون

الإمام العسكريّ عليه السلام والتمهيد لإمامة المهديّ عجل الله تعالى فرجه الشريف ٢

الدرس الحادي والعشرون

الإمام العسكريّ عليه السلام والتمهيد لإمامة المهديّ عجل الله تعالى فرجه الشريف ٢

أهداف الدرس:

١. أن يتبيّن الطالب إمامة الحسن العسكريّ عليه السلام وظروفها السياسيّة.

٢. أن يستذكر طرق تمهيد الإمام عليه السلام لغيبة الإمام المهديّ وإمامته عجل الله تعالى فرجه الشريف.

محاولات المعتمد العباسي للتخلص من الإمام عليه السلام

وسار المعتمد على نهج أسلافه وسعى بمحاولات عديدة للتخلّص من الإمام العسكريّ عليه السلام، ومنها لمّا أمر يحيى بن قتيبة الّذي كان يُضيّق على الإمام عليه السلام برميه عليه السلام للسباع ظنّاً منه أنّها سوف تقتله، إلّا أنّ يحيى أتاه بعد ثلاث ساعات فوجده يصلّي، والأسود حوله[1].

التمهيد لإمامة الإمام المهديّ عجل الله تعالى فرجه الشريف

عمل الإمام العسكريّ عليه السلام على التمهيد لإمامة ولده الإمام المهديّ عجل الله تعالى فرجه الشريف عبر عدّة أساليب منها:

أ. كتمان ولادة الإمام المهديّ عجل الله تعالى فرجه الشريف

لقد كتم الإمام العسكريّ عليه السلام ولادة الإمام المهديّ عجل الله تعالى فرجه الشريف الشريف خوفاً عليه من السلطة الّتي كانت تنتظر ولادته وهي تعلم أنّ المهديّ المنتظر هو ابن الحسن العسكريّ عليه السلام، وأنّه المدّخر للقضاء على الظلم وإنهاء دور الاستبداد في الحياة وإقامة العدل والانتصار للمستضعفين.

وكان الإمام العسكريّ عليه السلام، قد أمر خاصّة شيعته كأحمد بن إسحاق وغيره، حينما بشّرهم بولادته عليه السلام أن يكتموا أمره ويستروا ولادته عن الآخرين، فقال عليه السلام: «ولد لنا مولود فليكن عندك مستوراً وعن جميع الناس مكتوماً»[2].

كما أنّ الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام قبيل ولادته قد بعث إلى "حكيمة" عمّته بنت الإمام الجواد

(١) المناقب، م.س: ٣/٥٣٠.

(٢) كمال الدين، م.س: ٢/٤٣٤.

عليه السلام ليلة النصف من شعبان وقال لها: «يا عمّة اجعلي إفطارك عندي، فإنّ الله عزّ وجلّ سيسرّك بوليّه وحجّته على خلقه، خليفتي من بعدي».

قالت حكيمة: فتداخلني لذلك سرور شديد، وأخذت ثيابي عليّ، وخرجت من ساعتي حتّى انتهيت إلى أبي محمّد عليه السلام وهو جالس في صحن الدار وجواريه حوله، فقلتُ: جُعلت فداك يا سيدي، الخَلَفُ ممّن هو؟

قال: "من سوسن".

فأدرت طرفي فيهنّ فلم أرَ جارية عليها أثر، غير سوسن[٣].

فنرى الإمام العسكريّ عليه السلام مع ما اتّخذه من إجراءات احتياطيّة حول ولادة الإمام وأمره لمن اطّلع على ولادته المباركة، أن يكتم ما شاهد، أنّه عليه السلام كان يبشّر شيعته بولده المبارك وخليفته، ولكنّ ذلك كان في دائرة الجماعة الخلّص من شيعته ومواليه الّذين يؤتمنون على مثل هذا الأمر.

ب - إخبار خواصّ الشيعة بولادة الإمام المهديّ عجّل الله فرجه الشريف وعرضه عليهم

وممّن رأى الإمام الحجّة المنتظر بعد ثلاثة أيّام من ولادته من خواصّ الإمام العسكريّ عليه السلام عليّ بن بلال، ومحمّد بن معاوية بن حكيم، والحسن بن أيوب بن نوح وغيرهم، وقد قال لهم الإمام العسكريّ عليه السلام - بعد أن عرضه عليهم: «هذا صاحبكم من بعدي وخليفتي عليكم، وهو القائم الّذي تمتدّ إليه الأعناق بالانتظار، فإذا امتلأت الأرض جوراً وظلماً خرج فملأها قسطاً وعدلاً»[٤].

وقد سأل أحمد بن إسحاق الإمام العسكريّ عليه السلام قائلاً: يا مولاي فهل من علامة يطمئنّ إليها قلبي؟ فنطق الغلام بلسان عربيّ فصيح فقال: «أنا بقيّة الله في أرضه، والمنتقم من أعدائه، فلا تطلب أثراً بعد عين يا أحمد بن إسحاق»،فقال أحمد بن إسحاق: فخرجت مسروراً فرحاً..[٥]

جـ - النصّ على إمامة المهديّ عليه السلام وغيبته والإشهاد على ذلك

قدم وفد من أربعين شخصاً من الموالين لآل البيت عليهم السلام إلى سامرّاء وحضروا في بيت الإمام العسكريّ عليه السلام ليسألوه عن الحجّة من بعده، وفي مجلسه أربعون رجلاً، فقام إليه عثمان بن سعيد بن عمرو

(٣) الغيبة، للشيخ محمّد بن الحسن الطوسي، ٢٤١. منشورات مؤسسة المعارف الإسلامية، إيران قم، ط١، ١٤١١هـ.

(٤) كمال الدين، م. س: ٣٠٨/٢.

(٥) م.ن: ٤٣١/٢.

العمـريّ فقـال: يا بن رسـول الله أريد أن أسألك عن أمرٍ أنت أعلم بـه منّي، فقال عليه السلام: "اجلس يا عثمـان"، وقـام مغضبـاً ليخرج، فقـال عليه السلام: "لا يخرجنّ أحد - فلم يخرج أحـد - إلى أن كان بعد ساعة، فصاح عليه السلام بعثمان فقام على قدميه، فقال عليه السلام: "أخبركم بما جئتم؟". قالوا: نعم يا بن رسـول الله، قـال: "جئتم تسألونني عن الحجّة من بعدي". قالوا: نعم، فإذا بالإمام المهديّ عجل الله فرجه كأنّه قطعة قمر أشبه الناس بأبي محمّد عليه السلام، فقال الإمام العسكريّ عليه السلام:

"هـذا إمامكـم من بعـدي، وخليفتي عليكم، أطيعـوه، ولا تتفرّقوا من بعدي فتهلكـوا في أديانكم، ألا وإنّكـم لا ترونـه من بعد يومكم هـذا حتّى يتمّ له عمر، فاقبلوا من عثمان مـا يقوله، وانتهوا إلى أمره واقبلوا قوله، فهو خليفة إمامكم والأمر إليه".

وقد اشتمل هذا النصّ - بعد التعريف بالإمام المهديّ عجل الله فرجه - على الإشارة إلى وكالة عثمان بن سعيد العمـريّ، لأنّهـم لا يرون الإمـام المنتظر عجل الله فرجه بعد رؤيتهم هـذه، كما تضمّن النصّ علـى إمامته وأنّه الخلف والحجّة بعد الإمام العسكريّ عليه السلام.

ولم يترك الإمام العسكريّ عليه السلام فرصة إلّا واستغلّها للنصّ على إمامة ولده، والتعريف بأمره وبغيبته، بعد أن أسّس لنظام الوكالة والنيابة عن الإمام المهديّ عجل الله فرجه.

خلاصة الدرس

- قام الإمام عليه السلام بإجراءات متعدّدة للتمهيد لإمامة المهديّ عجل الله فرجه منها:

١. كتمان ولادة الإمام المهديّ عجل الله فرجه.

٢. إخبار خواصّ الشيعة بولادة الإمام عجل الله فرجه وعرضه عليهم.

٣. النصّ على إمامته عجل الله فرجه وغيبته والإشهاد على ذلك.

٢٢

الدرس الثاني والعشرون

الإمام المهديّ عجل الله تعالى فرجه الشريف حقيقة دينيّة ١

الدرس الثاني والعشرون

الإمام المهديّ عجل الله تعالى فرجه الشريف حقيقة دينيّة ١

أهداف الدرس:

١. أن يتبيّن الطالب حال الشيعة بعد شهادة الإمام العسكريّ عليه السلام.

٢. أن يستذكر الأدلّة على الإمامة العامّة والخاصّة.

٣. أن يتمكّن من دفع شبهات المنكرين للحقيقة المهدويّة.

الاختلافات بعد شهادة الإمام العسكري عليه السلام

إنّ المشاكل السياسيّة والكبت الّذي مارسه خلفاء بني العبّاس ضدّ أئمّة الشيعة، أحدثت نوعاً من الاضطراب وعدم الاستقرار في العلاقة بين الأئمّة وشيعتهم. وكانت هذه المشكلة تتفاقم بعد رحيل كلّ إمام وحلول آخر محلّه. وفي مثل هذه الأوضاع كان بعض الشيعة ينساق وراء الشكوك ويبقى حائراً في أمره، ويظلّ مثل هذا الوضع سائداً مدّة من الزمن حتّى تتقوّض تلك الفرق المنشقّة وتزول أفكارها المنحرفة، وتستتبّ الأوضاع للإمام الجديد.

وربما كانت بعض تلك المشاكل على درجة من الشدّة بحيث كانت تؤدّي إلى سلخ جماعة كبيرة من جسد الشيعة كما حصل بالنسبة للواقفيّة والفطحيّة والإسماعيليّة.

وتضاعفت هذه الأزمة بعد شهادة الإمام العسكريّ عليه السلام بسبب حصول الغيبة، وما سبقها من أحداث خفيّة مثل ولادة صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف والوصاية له بالإمامة. والسند الوحيد الّذي ارتكزت عليه إمامته في أحد جوانبها هو التراث الضخم من الأحاديث الموجودة في أساس قضيّة المهدويّة وما يتعلّق بها، وارتكزت إمامته في جانب آخر على جهاز منظّم وقويّ يتمثّل في عناصر الاتّصال الّتي تربط الإمام بشيعته.

وقد أحصى الأشعريّ في كتابه (المقالات والفرق) خمس عشرة فرقة، لكلّ واحدة منها معتقدها الخاصّ حول الوصيّ من بعد الإمام العسكريّ عليه السلام، حتّى أنّ بعضهم شكّ في الإمام الحادي عشر.

وذكر النوبختيّ في بداية الأمر أسماء أربع عشرة فرقة، وكذلك الشيخ المفيد[1]، ودوّن الشيخ الطوسيّ أيضاً الآراء المهمّة لتلك الفرق، وأبدى رأيه فيها من خلال الروايات والاستدلالات الكلاميّة[2].

ولو دمجنا الفرق الأربع عشرة تلك لاستخلصنا منها الفرق الأربع التالية:

١. الواقفيّة: وهم الّذين اعتقدوا بعدم وفاة الإمام العسكريّ عليه السلام وأعلنوا أنّه حيّ، وأنّه المهديّ.

٢. الجعفريّة: وهم الّذين قالوا بإمامة جعفر بن عليّ الهادي الّذي يسمّيه الإماميّة (الكذّاب).

٣. المحمّديّة: وهم الّذين اعتقدوا بإمامة الإبن الأكبر للإمام الهادي عليه السلام، أي محمّد، الّذي توفي في حياة أبيه وأنكروا إمامة الحسن العسكريّ عليه السلام.

٤. الإماميّة: وهم الّذين يؤلّفون أكثريّة الشيعة. ويؤكّد الشيخ المفيد عدم بقاء أيّ من هذه الفرق سوى الفرقة الإماميّة.

أدلّة وجود وإمامة المهديّ عجل الله تعالى فرجه الشريف:

اتّفق المسلمون على خروج المهديّ عجل الله تعالى فرجه الشريف في آخر الزمان، وأنّه من ولد الإمام عليّ وفاطمة عليهما السلام، وأنّ اسمه كاسم النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم. والأخبار في ذلك متواترة عند الشيعة والسنّة، فالاعتقاد بالمهديّ عجل الله تعالى فرجه الشريف هو من ملّة الإسلام ومتواتراته بل وضروريّاته، ولا خلاف فيه بين المسلمين، وإنّما اختلفوا في أنّه وُلِد أم سيولد.

فالشيعة وجماعة من علماء أهل السنّة قالوا إنّه وُلِد وإنّه (الحجّة) ابن الحسن العسكريّ ؤ. وذهب فريق كبير من أهل السنّة إلى أنّه لم يولد بعد وسيولد في آخر الزمان.

والشيعة تقول إنّ الحقّ هو القول الأوّل، ويدلّ على ذلك العقل فضلاً عن النقل، حيث يعتقد الشيعة إنّ النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم قد أوصى قبل رحيله إلى الرفيق الأعلى بالإمامة والولاية إلى الأئمّة الإثني عشر، أوّلهم الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام وآخرهم الإمام المهديّ المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف.

---

(١) راجع: المقالات والفرق للنوبختي، م.س: ١٠٢ - ١١٦، والفصول المهمّة، الشيخ المفيد: ٢٥٨ - ٢٦٦.

(٢) الغيبة، الطوسي، م.س: ١٣٠ - ١٣٥.

وهــذا الأصل الاعتقاديّ عند الشيعــة ـ كما سائر الأصول الاعتقاديّة ـ ليــس مستنده النقل والروايات المتضافرة عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فقط، بل الأساس فيه هو العقل الحاكم بضرورة وجود الإمام المعصوم – في كلّ عصر– المنصوص عليه من قبل الله تعالى على لسان النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وإلى هــذا يشــير الشيــخ الصدوق نقــلاً عن شيــخ المتكلّمين وأحــد صحابة الإمــام العسكريّ عليه السلام إسماعيــل بــن علــيّ النوبختيّ حيث يقول: "... إنّ أمر الدِّين كلّـه بالاستدلال يُعلم، فنحن عرفنا الله بالأدلّة ولم نشاهده، ولا أَخبرَنا عنه من شاهده، وعرفنا النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وكونه في العالم بالأخبار وعرفنا ثبوتــه وصدقه بالاستدلال، وعرفنا أنّه استخلف عليّاً بن أبي طالب عليه السلام بالاستدلال، وكذلك عرفنا أنّ الحسن بن عليّ ؤ إمام مفترض الطاعة..."[1].

فالمسلك والمنهج العقليّ في الاستدلال على ضرورة وجود الإمام المعصوم هو المسلك الشيعيّ، ونحن في الاستدلال العقليّ على وجود الإمام المهديّ عجل الله فرجه نقسّم الدليل إلى قسمين:

الأوّل: الدليل على ضرورة وجود الإمام وتعيينه أو نصبه من قبل الله عزَّ وجلَّ، ويمكن التعبير عنه: «بالدليل على الإمامة العامّة».

الثاني: الدليل العقليّ على استمراريّة هذه الإمامة للوصول إلى إمامة الإمام المهديّ عليه السلام، ويمكن التعبير عنه: «بالدليل على الإمامة الخاصّة».

الدليل على الإمامة العامّة[2]

لقد ذهب الشيعة إلى القول بأنّ الإمامة مقام دينيّ خاضع للجعل والتعيين الإلهيّ، وهي ليست سلطة دنيويّة خاضعة للعوامل الاجتماعيّة.

فحتّى النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن له أيُّ دورٍ مستقلّ في تعيين خليفته، بل قام بهذا التعيين بأمرٍ إلهيّ، وفي الواقع إنّ الحكمة في ختم النبوّة مرتبطة ـ تماماً ـ بتعيين الإمام المعصوم.

ومن هنا يتبيّن لماذا طُرحت الإمامة في الفكر الشيعيّ كأصل عقائديّ، لا كحكم فقهيّ فرعيّ.

---

(١) كمال الدين، م.س: ٩٢.

(٢) هذا الدليل تمّ استعراضه في الكتب العقائديّة ونحن نذكره هنا إتماماً للفائدة.

ولبيان ذلك نذكر الاستدلال التالي على ضرورة وجود المعصوم:

"إنّ تحقيق الهدف من خلق الإنسان منوطٌ بهدايته بوساطة الوحي. وقد اقتضت الحكمة الإلهيّة بعثة أنبياء يعلّمون البشر طريق السعادة في الدنيا والآخرة، وتنفيذ الأحكام والتشريعات... وبما أنّ الدِّين الإسلاميّ عالميّ وخالد، وقد خُتمت النبوّة وضمن الله تعالى بقاء الرسالة حتّى نهاية العالم، وبما أنّ أحكام الدِّين لا يمكن التعرّف عليها من خلال القرآن الكريم فقط مثل عدد ركعات الصلاة... فقد كانت هذه المهمّة ملقاة على عاتق النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ليبيّنها للناس.

"ومن الثابت أنّ الظروف الصعبة الّتي عاشها النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لم تسمح له ببيان جميع الأحكام والتشريعات الإسلاميّة للناس كافّة، فضلاً عن اختلاف أصحابه
من بعده في الكثير من القضايا... من هنا وجب البحث عن وسيلةٍ لطرح الدِّين الكامل والشامل والمستجيب لكلّ احتياجات البشر، وليس ذلك إلّا في تعيين الخليفة الصالح للرسول صلى الله عليه وآله وسلم الّذي يجب أن تتوفّر فيه الشروط التالية:

"١. العلم الموهوب من الله، ٢. العصمة، ٣. التعيين الإلهيّ. وذلك من أجل أن يقوم بالدور الّذي قام به النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم.
«إذن، ختم النبوّة إنّما يكون موافقاً للحكمة الإلهيّة فيما لو اقترن بتعيين الإمام المعصوم، والّذي يمتلك خصائص نبيّ الإسلام كلّها عدا النبوّة والرسالة»[٣] ٥ وهذا هو مبنى الشيعة في اعتقادهم بضرورة الإمامة بعد النبوّة الخاتمة.

وإذا ثبت ضرورة وجود الإمام بعد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، يبقى السؤال التالي. إذا كانت النبوّة كظاهرة إلهيّة غيبيّة، منقطعة وليست مستمرّة، وأنّها ختمت بالنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، فهل الإمامة أيضاً ظاهرة منقطعة كالنبوّة، أم هي مستمرّة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها؟
والجواب أنها مستمرة، وهذا ما سيتم تناوله في الدرس القادم.

---

(٣) دروس في العقيدة الإسلامية، محمّد تقي مصباح اليزدي: ٢/٣٤٦-٣٤٨ (بتصرّف).

خلاصة الدرس

- حدثـت اختلافات كثيرة بين الشيعة بعد رحيل الإمام العسكريّ عليه السلام وانقسم الناس إلى حوالي خمس عشرة فرقة، لكلّ واحدةٍ منها معتقدها الخاصّ في قضيّة الإمامة.
- كانـت الفرقة الإماميّة القائلة بإمامـة المهديّ عجل الله تعالى فرجه الشريف هي الأكثر عدداً، والأكثر تأييداً من قبل كبار الشخصيّات، وهي الفرقة الّتي ثبتت على صفحة تاريخ التشيّع.
- يؤكّد الشيخ المفيد عدم بقاء أيّ واحدة من هذه الفرق عدا الإماميّة.
- استدلّ الشيعة على إمامة الإمام المهديّ عجل الله تعالى فرجه الشريف بالنصّ (القرآن والروايات) وكذلك بالعقل الحاكم بضرورة استمرار النبوّة بعد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، وضرورة عدم خلّو الأرض من حجّة الله.

٢٣

الدرس الثالث والعشرون

الإمام المهديّ عجل الله تعالى فرجه الشريف حقيقة دينيّة ٢

الدرس الثالث والعشرون

الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف حقيقة دينيّة ٢

أهداف الدرس:

١. أن يستذكر الأدلّة على الإمامة العامّة والخاصّة.

٢. أن يتمكّن من دفع شبهات المنكرين للحقيقة المهدويّة.

الدليل على الإمامة الخاصّة

أو الدليل على استمرار الإمامة في شخص محدد، ونستفيده من ظواهر الآيات والروايات الواردة عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم التي تؤكد على استمرار ظاهرة الإمامة والخلافة وعدم انقطاعها.

يقول الله تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ**﴾[١].

فالآية تشير إلى وجود خليفة في الأرض، وأنّ هذا الخليفة ليس هو مطلق الإنسان، وإنّما المقصود به إنسان بخصوصه، وأنّ هذه الخلافة الإلهيّة غير منقطعة بحسب منطوق الآية.

وقال تعالى مخاطباً النبيّ إبراهيم عليه السلام: ﴿**إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا**﴾[٢].

فقد أجمع المفسّرون على أنّ الإمامة في الآية هي غير النبوّة والرسالة الّتي كانت لإبراهيم عليه السلام. وهذه الإمامة الّتي ثبتت لإبراهيم عليه السلام طلبها لذرّيته من بعده، حيث قال: ﴿**..وَمِن ذُرِّيَّتِي..**﴾[٣] «، وقد استجاب الله تعالى دعاءه، ولكن لم يجعلها في الظالمين من ذرّيته، وإنّما في غيرهم: ﴿**...قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**﴾[٤] » ومن الواضح أنّ استجابة دعائه في ذرّيته، لا يختصّ بالأبناء المباشرين

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٣٠.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٢٤.

(٣) البقرة:١٢٤.

(٤) البقرة:١٢٤.

لـه عليه السلام، بل هو شامل لجميع ذريّته شريطة أن لا يكون ظالماً. وهذا ما يؤكّده القرآن الكريم في بيان حصول ذريّة إبراهيم عليه السلام على هذا المقام واستمرارها في إسحاق ويعقوب وصولاً إلى النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم والأئمّة المعصومين عليهم السلام.

أمّـا الروايات فقد تواتـرت في الدلالة والإشارة إلى أنّ ظاهرة الإمامـة مستمرّة غير منقطعة، ومنها حديـث الثقلـين، ورواية: «لا تخلـو الأرض من قائم لله بحجّة»[٥] ، ورواية: «مـن مات ولم يعرف إمام زمانه...»[٦].

وكلّ هذه الروايات ممّا أجمع على صحة صدورها كلا الفريقين من الشيعة والسنّة.

وبالتـالي فـإنّ ما تقدّم في الحديث عن ضـرورة استمرار الإمامة بعد النبـيّ صلى الله عليه وآله وسلم يقودنا إلى نتيجة مؤدّاهـا: أنّ الله تعـالى لم يـترك الأرض ولن يتركها علـى الإطلاق مـن دون إمـام معصوم يحمل مواصفـات الرسـول صلى الله عليه وآله وسلم ويستمرّ في أداء الوظيفـة الإلهيّة الّتي من أجلها بُعـث إلى البشرية هادياً ونذيراً.

وأمّـا إثبـات خصوص إمامة الإمام المهـديّ عجل الله فرجه ، فإنّما يستند فيه العقـل إلى النقل بعد ثبوت أصل الدليل العقليّ على ضرورة الإمامة.

وهـذا مـا يبيّنه الدليل النقلي المعتمد علـى ما ورد في القرآن الكريم من آيات تـدلّ على وجود الإمام المهديّ عجل الله فرجه والّتي أحصاها العلماء بما يناهز المائة آية[٧]، وهكذا الحال بالنسبة للروايات الّتي بلغت حدّ التواتر[٨].

---

(٥) نهج البلاغة، م. س: ٣٨/٤.

(٦) المناقب، م.س: ٢١٢/١.

(٧) راجع كتاب: المحجّة فيما نزل في القائم الحجّة، للسيد هاشم البحراني الّذي أورد مائة وعشرين آية من القرآن الكريم كلّها مأوّلة ومفسّرة بالإمام المهديّ عجل الله فرجه ، وغيره من الكتب.

(٨) راجـع الإحصـاء الّذي ذكره العلامة لطف الله الصافي في منتخب الأثر، والّـذي يتضمّن عدد ومجموع الروايات الّتي رواها السنّة والشيعة حول الإمام المهديّ عجل الله فرجه .

المنكرون لحقيقة وجود الإمام المهديّ ﴿عج﴾:

إنّ المراجعة الدقيقة والخالية من التعصّب والحقد والكراهية تثبت لكلّ باحث في الروايات أنّه لا يوجد قضية تسالم عليها الرواة والعلماء واعتبروها من الحقائق الثابتة الّتي لا يمكن إنكارها في الفكر الإسلاميّ مثل قضية الإمام المهديّ ﴿عج﴾.

وعلى الرغم من هذا كلّه لم تسلم هذه القضية من أقلام الحاقدين والمتعصّبين. وقد تطاولت أقلام الكذب والنفاق لتصف قضيّة وجود الإمام المهديّ ﴿عج﴾ بأنّها من القصص والخرافات الّتي ابتدعها الشيعة، واعتبروها من موضوعاتهم..

وأوّل من اتّجه إلى نقد أحاديث المهديّ فيما عرفنا عبد الرحمن بن خلدون فقال: "إنّ الشيعة يزعمون أنّ الثاني عشر من أئمّتهم هو محمّد بن الحسن العسكريّ، ويلقّبونه بالمهديّ، دخل السرداب بدارهم..." وحاول ابن خلدون مناقشة سند بعض ما ورد من تلك الأحاديث، واحتجّ بعدم رواية البخاريّ ومسلم لها[1].

وقد تعرّض ابن خلدون بسبب ذلك إلى هجوم ماحق من قبل السنّة قبل الشيعة، وردُّوا على ما أثاره من وجوه التشكيك، فقال الشيخ عبد المحسن العبّاد عضو هيئة التدريس في الجامعة الإسلاميّة في المدينة المنوّرة في الرّد على من كذّب بالأحاديث الصحيحة في المهديّ ﴿عج﴾:

١. إنّ ابن خلدون اعترف بسلامة بعضها من النقد، إذ قال بعد إيراد الأحاديث في المهديّ ﴿عج﴾: "فهذه جملة الأحاديث الّتي خرّجها الأئمّة في شأن المهديّ ﴿عج﴾ وخروجه آخر الزمان، وهي كما رأيت لم يخلص منها من النقد إلّا القليل والأقلّ منه"، على أنّ ابن خلدون فاته الشيء الكثير من الأحاديث.

٢. إنّ ابن خلدون مؤرّخ وليس من رجال الأحاديث فلا يعتدّ به في التصحيح والتضعيف. ثمّ ردّ على مزاعم ابن خلدون بعدم وجود هذه الأحاديث في صحيحي مسلم والبخاريّ بإيراد بعض الروايات الواردة فيهما حول المهديّ ﴿عج﴾، وذكر الشيخ العبّاد أيضاً أنّ هذه الأحاديث مرويّة في السنن الأربعة (الترمذيّ والنسائيّ وابن ماجه وأبي داود) وذكرها أحمد بن حنبل في المسند والطبرانيّ في المعجم

---

(١) مقدّمة ابن خلدون، م.س: ٢٤٦.

والبيهقيّ في السنن والحاكم في المستدرك وقالوا بصحّتها[٢].

وقد ألّف العلاّمة المحدّث أحمد بن محمّد بن الصديق الغماري المغربي المتوفّى سنة ١٩٦٠م كتاباً بعنوان: "إبراز الوهم المكنون من كلام ابن خلدون"...

وأمّا ابن حجر العسقلانيّ الهيثميّ فقال في كتابه الصواعق المحرقة: "إنّ العسكريّ لم يكن له ولد، بطلب أخيه جعفر ميراثه من تركته لمّا مات، فدلّ طلبه أنّ أخاه لا ولد له، وإلّا لم يسعه الطلب..."[٣].

وقد وقع ابن حجر في التناقض عندما اعترف في موضعٍ آخر من هذا الكتاب بولادته عجّل الله تعالى فرجه الشريف حيث يقول: "ولم يخلف غير ولده أبي القاسم محمّد الحجّة، وعمره عند وفاة أبيه خمس سنين لكن آتاه الله فيها، ويسمّى القائم المنتظر"[٤].

وأوّل ملاحظة ترِد على هؤلاء: هي لماذا يوجّهون كلّ هذه التهم، وينسبون هذه الأباطيل إلى الشيعة ويعتبرون أمر المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف من مزاعم (الشيعة) وأضاليلهم، ولم يتعرّضوا في كلامهم إلى من نطق بالحقّ واعترف وأقرّ بوجود وولادة الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف من علماء السنّة الّذين يصعب إحصاؤهم لكثرتهم، وتصريحهم الواضح واعترافهم وعدم إنكارهم لهذه القضيّة؟

فالتحامل على الشيعة لا مبرّر له إذا كان السبب في ذلك هو هذا الاعتقاد، وإلّا فإنّهم كما تحاملوا على الشيعة فليضيفوا على ذلك اتّهام كلّ من اعتقد بهذا الاعتقاد وآمن بهذه القضيّة.

خلاصة الدرس

- استدلّ الشيعة على إمامة الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف بالنصّ (القرآن والروايات) وكذلك بالعقل الحاكم بضرورة استمرار النبوّة بعد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، وضرورة عدم خلّو الأرض من حجّة الله.
- أنكر بعضهم وجود الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف من أمثال ابن خلدون وابن كثير، ولكنّ هؤلاء نالوا نصيبهم من الردود، ولا سيّما من علماء السنّة.

---

(٢) انظر: المهديّ في أحاديث المسلمين حقيقة ثابتة، محمّد رضا الحسيني الجلالي: ٢٣ ـ ٢٦.

(٣) الصواعق المحرقة، م. س: ١٢٤.

(٤) م.ن.